روايات عبير

بيتاني كامبل

لعبة الحب والحياة

www.liilas.com

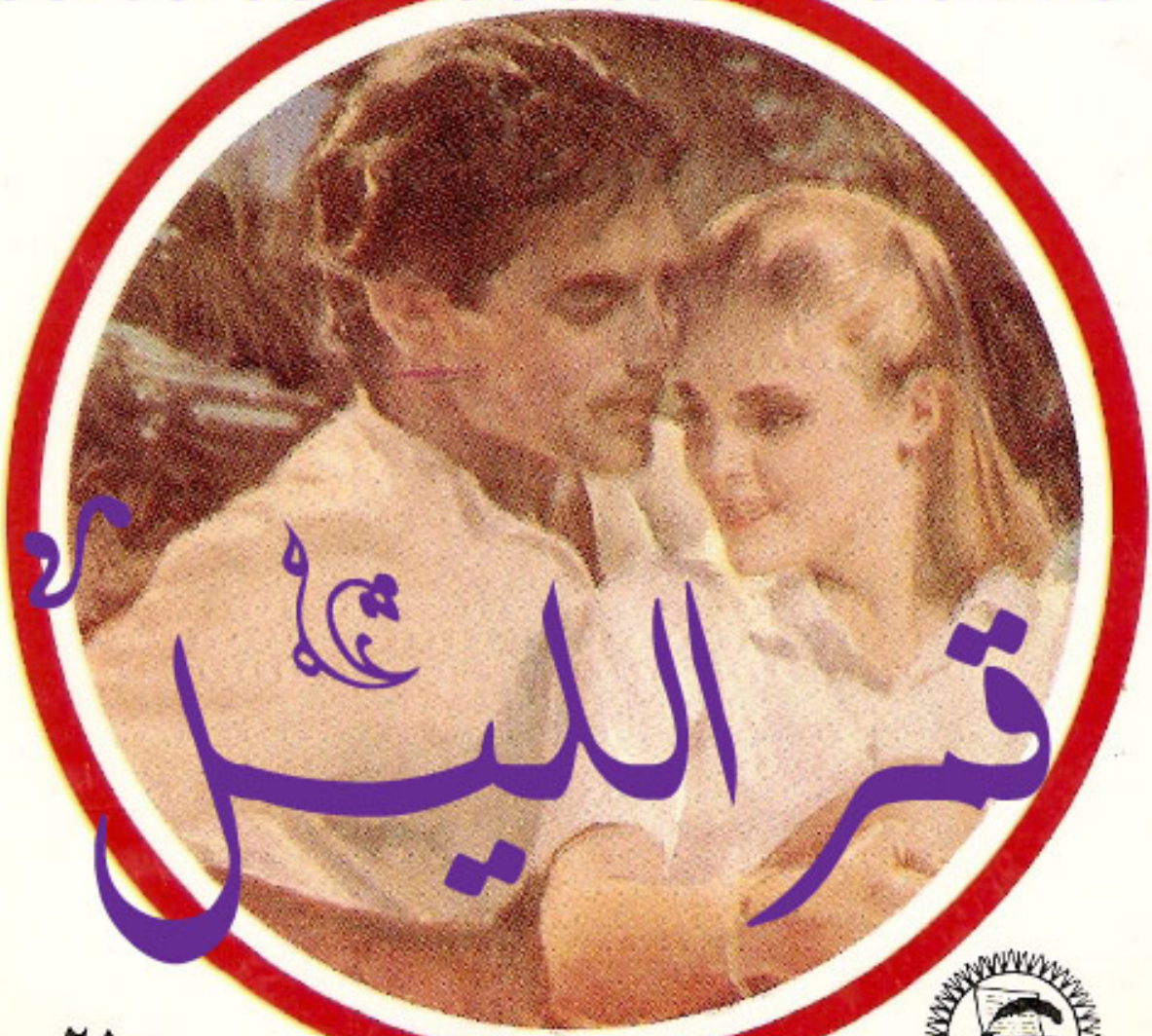

قمر الليل

٢١٥

مكتبة مدبولي الصغير

روايات عبير

«ABIR» - No. 215

لعبة الحب والحياة

كانت دارين شيفيليد دائما محط نفوذ واستغلال الآخرين لها، حتى خطوبتها وهى أشهر نجوم عالم الموضة والأزياء، لأشهر مطربى الروك، كانت بهدف الدعاية، كان من حقها أن تشعر وكأنها دمية تتحرك بالحبال فى أيدى الآخرين!!

قررت أن ترحل إلى منطقة ريفية بحثا عن الراحة والخلوة وتأمل حياتها؛ هربا من أضواء الشهرة والزيف والمال وقبل أن تصل إلى قرارها بالبقاء هناك، تطاردها أشباح عالمها الأول، فهل تضحى بحبها أصدق حب عاشته من أجل المال والشهرة أم تخسر كل شىء وتكسب نفسها وتربح حبها؟؟

www.liilas.com

لبنان	١٩,٢٠ ل.ل	الكويت	١,٥٠٠ د	اليمن	٦,٤٠ ر	السودان	١,٢٨٠ م
سورية	١٩,٢٠ ل.س	الامارات	١٩,٢٠ د	تونس	٢,٤٠ د		
الأردن	١,٢٨٠ ف	البحرين	٢,٤٠ د	ليبيا	١,٦٠ د	U.K.	£ 2,40
العراق	٨٠٠ ف	قطر	١٩,٢٠ ر	المغرب	٨ د	France	F 16
السعودية	١٩,٢٠ ر	عمان	٢,٤٠ ر	مصر	٢٠٠ ق	Greece	Drs 320
						Cyprus	P 2,40

قمر الليل

الفصل الأول

وداعاً أضواء الشهرة

كانت الأمطار تهطل بغزارة ؛ ولم تتبين طريقها وأظلمت الدنيا فى عينيها ، وتهادى إلى سمعها صيحات الصحفيين : « شيفى ! أين سوليفان ؟ لماذا اختفى ؟ » بينما صاح أحد المصورين « شيفى ! هنا ! هذه الناحية ! انظرى ناحيتى !! أين سوليفان ؟ هل هذا يعنى أن الأمور اختلفت بينكما ؟ » وتتابعت تساؤلات الصحفيين بينما يقودها وارين والسائق عبر الباب إلى السيارة ويحاولان حجبها عن الأمطار والصحفيين ، قطب السائق مكشرا عن أنيابه فى وجه أحد الصحفيين حاول أن يقترب منها ، وأقسم لهم « اتركوها فى حالها فهى عائدة لتوها من جنازة والدتها وإبتعدوا أيها الأدعياء » ولم يتوقف عن الصراخ فيهم ، وهو يساعد « دارين » للجلوس فى المقعد الخلفى للسيارة الليموزين ، وهى ترتجف ، فهذا السائق الذى يحميها من المطر وفضول الصحفين لم تعرفه من قبل ؛ فلقد جاء فقط أثناء جنازة أمها .

« أغبياء ! » صاح السائق بغضب فى الصحفيين ، وبينما

يسرع وارين لركوب السيارة ويغلق بابها ؛ وحدق فى السائق وسأل دارين «من يظن نفسه هذا السائق ؟ فتوة ؟ حاكم بأمره : طالما لسنا من العائلة المالكة ، فلا يجب أن نهين الصحافة »

لم تعلق دارين بشىء ، وخفضت عينيها لتحملق فى قفازها الأسود ، بينما صاح مصور صحفى «أين سوليفان ؟ شيفى ! يا حلوة ! أين الولد الحبوب !! ؟ » بينما السيارة تشق طريقها وتبتعد ، وزمجر وارين غاضبا وهو يشعل سيجاره «سأقتل سوليفان ذلك الفأر الأشقر الصغير ، ليس شخصا طيبا ، لو كانت فاون على قيدة الحياة لما كانت أعرته أى إهتمام » .

ردت دارين «فاون ماتت ، هذا كل ما فى الأمر» فاون أمها ، الحنونة الرائعة ماتت ، ولم تطاوعها دموعها ولم تستطع البكاء .

« ياه ، آسف ، يوم كئيب ، كئيب آسف يا صغيرتى » قالها وارين وهى تنظر من نافذة السيارة للخارج ، كانت الأمطار مازالت تهطل بغزارة .

أسندت دارين رأسها على نافذة السيارة ؛ دارين تلك الفتاة الهيفاء الطويلة الرشيقة كانت عيناها تفيض حزنا آسيانا من عيونها العسلية الصافية ؛ وفمها مطبقا كوردة ابت أن تتفتح فى يوم حزين ، وخدودها الجميلة وأنفها الشامخ ، ورغم حزنها كانت فى كامل مكياجها كعادتها دائماً ، فى عملها . دارين فى التاسعة عشر من عمرها ، لكن الهم والتعب أثقلها ، كان شعرها الطويل الأشقر يتدلى فوق كتفها حتى خاصرتها ، كانت ترتدى أجمل ثيابها كما كانت تريدها أمها دائماً ، وسألها وارين « أتلبسين خاتم خطوبتك ؟ »

خلعت قفازها الأسود من يدها اليسرى بلا عاطفة ، وكانت أصبعها بلا خاتم وقالت : لا ، لقد خلعته » .

« إذن إلبسيه ، ربما من حسن حظنا أن سوليفان لم يراك الآن ، لقد أسأت بخلعك الخاتم » ونفث دخان سيجاره ، وارين ذلك الرجل الضئيل الحجم ، بشعره الأسود ، مدير أعمالها منذ سبع سنوات .

أجابته « لن ألبس الخاتم ثانية ، فهو لم يأت ليرى أمى وهى مريضة ، ولا مرة واحدة ، ولقد تقابلنا فى لقاءات عامة وحاولت التحدث إليه بهذا الخصوص لكننى لم أستطع ، وأخبرنى أنه لن يتحدث ، كان الأمر محبطاً جداً ،

« شيفى ، هو فنان ، متقلب المزاج لتنسى ذلك ، سنجد طريقة للتفاهم ، أنا آسف لفتح الموضوع .

أجابته « هو ليس فناناً ، هو مغنى لأغانى الروك ، لم يأت أبداً ليراها ولا مرة واحدة ، ولا تنادينى بـ « شيفى » إسمى دارين »

« إسمك شيفى ، إنه إسم بمليون دولار ، قلت أننى آسف لفتح الموضوع ، فهو لم يأت لزيارتها ، ماذا ترى فى الأمر الآن ؟ لقد كانت عمليا مغمى عليها وفى غيبوبة ، ومنذ ثلاثة شهور لم تنطق بكلمة ، ولم تكن تريد رؤيته بأية حال ، ولا تسيئين للموتى ، لكنها كانت إمرأة مغرورة ، أين الخاتم ؟ »

لم تجبه بكلمة واحدة ، بل شاهدت المطر الذى يرتطم بزجاج النافذة .

قال متضايقاً : « شيفى ، أنا مدير أعمالك ؛ مهمتى حماية مصالحك ، والآن أين الخاتم ؟ لن ترجعيه له ، أليس كذلك ؟ »

سألته ووجهها يطفح بالتوتر « لماذا أرده له ؟ ، فاون هى

www.liilas.com

التى إشترته لى، بعيداً عن الشكليات والمظاهر هو خاتمى »

غمغمت بالبكاء متذكرة أن أمها ماتت ولم تعد بجوارها، فلقد جلست بجانبها ثلاثة أشهر، ولم يساورها أى شك بأن هذه الشخصية الصارمة يمكن أو يوقفها المرض أو ينتزع روحها.

قال وارين وكأنه يأمرها « البسيه غداً خطوبتك له تساوى ثروة هائلة لك إعلاميا، ولسوليفان، أيضاً، ولن تهدرى هذه الثروة فى تلك النزوة ».

أجابته دون أن تنظر إليه « ليست نزوة طائشة، لقد كانت فكرة فاون »

« إذن ؟ أنت تحبينه، كنت مجنونة به، لم أسمع منك أى شكوى ؟ »

« لم يهتم بى أبداً، لم يهتم بأى شىء؛ غير ذاته وعمله وإستثماراته ».

« كان يعشقك ويحبك بجنون بطريقته »

« هو كان يعشق فاون، كان يعرف مدى ذكائها، كانوا يجلسان ويتحدثان عن المال طيلة الليلة، هو ارتبط بى فقط، لكنه لم يكن الرجل المناسب لى؛ كان يجب أن يجىء ليراها، كان يجب أن يفعل ».

قال متهما إياها « أنت فى حالة عصبية سيئة، يجب ألا نتحدث فى هذا الأمر، لدينا أمور أخرى تستحق الحديث بشأنها، عملك على سبيل المثال ».

إلتفتت لتحدق فيه من خلف حجابها الأسود « وارين، أنا لا أريد التحدث عن عملى، أمى ماتت، تذكر ؟ »

« ياه ؟ حسنا؛ عفوا لقلة ذوقى لكن أمك كانت سيدة صارمة، وماذا كانت تريدك أن تتحدثى بشأنه ؟ كونى واقعية،

يا شيفى. موت فاون ليست نهاية العالم. كنا نعرف أن هذا سيحدث، إحمدى الله بأن... »

« أعرف إحمدى الله أنها لم تعانى طويلاً، حسنا، حمدت الله، لكننى لن أتحدث فى العمل ».

« عملك كان حياتها، هل كنت تظنين أنك أصبحت فى قمة عارضات الأزياء لمجرد ضربة حظ ؟ فكرى ثانية هى التى شيدت نجاحك، والآن ستكونين بمفردك، هناك قرارات مصيرية يجب أن تتخذيها، يجب أن تناقشى إستثماراتك بصراحة، الطريقة التى كانت تدار بها ليست جيدة، سأقوم ببعض الأعمال الجادة، فى الحقيقة... »

« من فضلك ياوارين » وأسندت رأسها ثانية إلى زجاج النافذة الأملس البارد.

لكنه كان مصرا « شيفى، صدقينى، فاون كانت ستريدنا أن نتحدث فى العمل، هناك أمور يجب مناقشتها »

أغمضت عينيها « سأناقشها فيما بعد »

تظاهر وارين بالحزن والألم، وتحدث بلهجة رجل أعمال حاسمة « الأفضل أن تتحدثى الآن، أنظرى، أنت فى موقع فريد، انت على قمة عروض الأزياء، أنت عارضة الأزياء الأولى فى نيويورك، لديك سحر خاص، عمرك تسعة عشر عاماً، لم يعد هناك موقع تطمحين له، لكن يجب أن تنتبهى أن يكون لديك خطط، الآن ذهبت فاون ورحلت عن عالمنا، أنت بحاجة لمدير دعاية، أنا افكر فى سوليفان هو جيد ومناسب ».

لم تفتح عينيها وقالت « سوليفان مدير دعايتى ؟ يا للأسى، يا وراين لا أصدق هذا، أنا فى حلم مزعج »

« أنت وسوليفان ثنائى ديناميكى، مؤثر »

www.liilas.com

«لست أكون ثنائي مع سوليفان، أبدا، الأمر كله ادعاء، كل حياتي كانت إدعاء وتظاهر».

ردد ساخراً «كل حياتي إدعاء أنت تمثلين دوراً مأسوياً فاجعاً لقد حصلت على كل ما تتمناه أي فتاة في العالم، يا صغيرتي، فاون حققت لك هذا، هل تتعلقين بها؟ أنصتي لي»

فجأة دارت رأسها، بدت كل حياتها فارغة، بلا معنى، وفتحت عينيها وواجهته «من قال أنني أريد كل شيء في العالم؟ من قال أنني أردت أن أكون عارضة أزياء؟».

أجابها «فاون وهي التي أرادت، ومن كان يقدر أن يقول لا لها؟ لا أحد، ولا أنت، ولا أنا، ولا سوليفان، لا أحد أبداً»

قالت وهي تنظر من النافذة «أريد أن أبعد لفترة»

«وهو كذلك، يمكنك الراحة لاسبوع إذهبي إلى ميناء بار، أو إلى مرتفعات آن».

«أكثر من اسبوع، راحة لمدة عام»

انحبس صوت وارن وهو يقول «عام؟»

أنت مجنونة؟ أين تذهبين لعام بأكمله؟ تعرفين حجم الأموال التي ستخسرينها طيلة عام؟»

«لقد ألغيت كل شيء عندما ماما فاون مرضت، ليس لدي أي ارتباط»

قال «أظنها ستنقلب في مرقدها تحسراً في قبرها على ذلك»

همست: «سأذهب إلى الجنوب، إلى الجنوب»

سألها وارن: «الجنوب، حيث الرمال وكل تلك الأجواء الحزينة؟»

أومأت تلقائياً.

«شيفي، لقد جاهدت فاون وكانت كالقطة الشرسة المتشمرة لتخرجك واياها من الجنوب وأنت تذهبين لتعودي الآن»

«والآن أنا في سيارة الجنازة يا وارين قلت أني راحلة، ولقد جهزت كل الترتيبات». حدق فيها وكأنها أعلنت الترهين وفي طريقها إلى الدير «هل أنت جادة؟» «أنا ذاهبة حيث بدأنا من هناك»

«تقصدين أنك جادة؟»

أومأت برأسها:

هز رأسه غير مصدقا «فهمت.. فهمت من أول لحظة» ونظرت إليه متسائلة، واستطرد «لمحت ذلك في وجهك؛ دائما كنت أتعجب كيف كانت لها طفلة مثلك.. يا لصبرها، ولطفها، وبراءتها، ويالك من طفلة متعاونة، لقد رأيت الصدمة المفاجئة وأثرها عليك، أنت لا تقصدين ما قلت، أليس كذلك، ألا تهتمين بما سيحدث للجميع، هل أنت راحلة فعلاً؟».

أومأت ثانية «يجب أن أرحل، لفترة، كل شيء يجري بجنون، ربما كان الأمر كله جنون، وكنت من السذاجة بحيث لم أدركه أنا لا أعرف شيئاً على الإطلاق»

قال وكأنه يستعد لمقاتلتها «لا يمكنك أن تفعلي هذا، ماذا عن سوليفان؟»

فكرت للحظة، لقد أحبت سوليفان أو ظنت هكذا؛ لقد إندفعت إليه منذ عامين، وكانت قصة غرامهما الرومانسية من أشهر قصص الحب في أمريكا، لكنها لم تكن رومانسية، كان سوليفان يقبلها فقط عندما يقفان أمام المصورين ليلتقطوا

www.liilas.com

صورها .

قالت : « لو كان سوليفان لا يريد إيذائى ، ومازال يريدنى فسيأتى ورائى »

هز وران رأسه « أنت جننت ، عمرك مازال تسعة عشر عاماً ؛ لا تعرفين شيئاً ، دائما كنت موضع الرعاية ، بحق السماء كانت أمك دائماً تقول لك متى تشمخين بأنفك ، لأنك لا تستطعين وحدك »

لم تنصت إليه ، بل سرحت وشردت بذهنها بعيدا ، كان عقلها مشغولا وقال لها « إسمعى ، على الأقل عاهدينى ألا تلغى خطوبتك ولا تفسخينها ، لو كنت تريدين الإهتمام بعملك ، فكرى فى سوليفان »

أومأت برأسها « فقط لا مزيد من الدعاية عنها لفترة » وكأنها تستعطفه « أريد أن أستريح لفترة ، من فضلك دع تلك الخطوبة تنتهى فى هدوء ، بلا ضجة أو دعاية ، أتعدنى بذلك ؟ هو لا يريدنى ولم يكن يريدنى أبداً »

فى النهاية أومأ وارين موافقاً .

حدقت هى ، فى يدها الرشيقة العارية ، أحيانا تتساءل من تكون هى ، وبالكاد تتذكر عندما كانت بعيدة عن أضواء عدسات التصوير ، كل حياتها إدعاء وزيف ، هى مجرد صورة .

قال وارين غاضبا « أنت لا تفهمين شيئاً لا شىء ، لم أقابل أحداً أبداً بمثل جهلك دائما كانت فاون ترعى كل أمورك ، كانت تخوض كل المعارك ، ولم يكن لديك أدنى فكرة عما يجرى يا شيفى ؟ هل تنصتين لى ؟ »

قالت : « إسمى دارين »

عندما مدخل المدينة كانت اللافتة مكتوبا عليها « أركاديا »

وبحروف صغيرة كتب « السكان : ٢,١٢٦ نسمة ، سكان هادئون فى طباعهم ، مع بقايا طباع حادة قديمة ، وبعض كلاب الصيد الشرسة . ابتسمت دارين ، بدت سيارتها البنية اللون الشيفورليه المتربة بلوحاتها النيويوركيه وكأنها السيارة الوحيدة على الطريق ، أخيراً وصلت إلى أركاديا . كان اليوم السبت يوماً حاراً ، وقت ما بعد الظهيرة ، وبدت أركاديا وكأنها فى إغفاءة شاملة ، وإستدار الطريق الرئيسى برشاقة ، كما لو كانت فى حلم جميل ، فى ظلال شجرة الماجنوليا فى فناء المنزل كان الكلب الأسود مستلقيا كأحد كلاب الصيد الشهيرة فى أركاديا أبطأت سيارتها ، أمام مدخل المنزل كانت هناك لافتة مكتوبا عليها :

مؤسسة ماكفى بيرليس ،
مبيعات ، خبراء ، تثمين ، إيجارات
نحن نقدم ضمانات أكيدة !!

ركنت سيارتها ، وهبطت منها ومدت ذراعيها بسعادة ، فلقد قادت السيارة لمسافة ١٧٠٠ كيلو ، فى الأيام الثلاثة الماضية ، لكن المسألة تستحق ، أكيد ستشعر بالهدوء ؛ والراحة والتحسن .

مررت يدها خلال شعرها الطويل ، وحاولت تسوية بنطولها وقميصها الكاكى الذى ارتدته طيلة سفرها ، ثبتت نظارتها الشمسية الكبيرة الحجم فوق أنفها وتلفتت حواليها ، هذه المدينة تختلف عن مانهاتن ، وهى تتمنى ذلك . وفتحت الباب ودخلت المكتب ، لتقابل رجلا نحيفا أصلع الرأس ينظر إليها متشككا ، ورغم حرارة الجو كان يرتدى جاكت أسود ورابطة عنق ، وهى واقفة لفتت نظرها مانشيتات الصحيفة ، وجعلتها تكز أسنانها ، آه لا ، كان المانشيت يقول « عارضة الأزياء الحزينة هل تتزوج

www.liilas.com

نجم الروك أخيراً »

توقفت ، وهى متوترة ، لكنها سعدت لأنها بلا مكياج ، وتبدو غير مهندمة ، ولن يلحظها أحد ، لكن وارين وعدها ألا يثير أى دعاية عنها وعن سوليفان ويبدو أنها لن تستطيع وضع حد لتلك الحكاية . كانت صورة الغلاف الضخمة تظهر دارين تحاول إخفاء وجهها عن مصورى الصحف ، وكان العنوان الرئيسى يقول « أين كان عيشقها عندما كانت الجميلة تدفن أمها ؟ إقرأ الصفحة السادسة ! »

كان صاحب مكتب العقارات السيد ماكفى يقرأ الصفحة السادسة ، ونظر إليها متضايقاً ، وكأنه لم يهتم بوجودها ، ولم يلحظها ، بغضب وعصبية ، خلعت نظارتها ، وبدت بدونها صغيرة ، وبثبات مدت يدها للرجل « السيد ماكفى ؟ أنا دارين شيفيليد »

اسمها الحقيقى الذى نادراً ما يستخدم ، أومأ وسلم عليها ، ومازال ينظر إليها يتشكك وكان واضحاً أنه ليس من أهالى أركاديا ، واصلت حديثها « أنا من نيويورك لقد إتصلت بك تليفونيا ، إستأجرت منك مزرعة بيللى ، على ما أظن » .

تمنت أن يبدو حديثها بلهجة رجال الأعمال فهى لم تعتد تلك الأمور ، قال لها « شيفيليد ، بيللى ، نعم ، جئت متأخرة ، إنتظرتك صباحاً »

قالت بابتسامة إعتذار « بدت تينيسى أبعد مما هى على الخريطة » .

لكنه رد متعجرفا « تينيسى ليست أفضل مما تستحق » لم تدرك ماذا يعنى بكلامه .

نظر إليها متفحصاً « هى مليئة بالمطربين الريفيين وأغانى

الويسترن من الذين يحيون حفلات المارقين والفاسقين والسكارى ناشفيل مليئة بالنساء والرجال الذين يرتدون الملابس الغريبة ويغنون ويعزفون على الجيتار » .

ارتبكت دارين فهى مازالت مخطوبة على الأقل رسميا لرجل يرتدى تلك الملابس ويعزف على الجيتار ، صحيح أن سوليفان لم يغنى أبداً أغانى ريفية أو أغانى الويسترن لكن السيد ماكفى قد يجد ذلك أسوأ .

سألها « قلت أنك من نيويورك ؟ »

وهى يضع يدها على المجلة التى طواها على المكتب ، ورأت دارين صورتها على الغلاف وأجابته « نعم » وسألها مقطباً متشككا « إذن ماذا جاء بك إلى أركاديا ؟ »

أجابته : « لا شىء » لكنها أدركت أن إجابتها حمقاء فأضافت « هناك وفاة فى العائلة واحتجت للابتعاد فترة ... »

فجأة أدركت أنها لا تعرف ماذا تريد فيما عدا حاجتها للابتعاد والهروب ، لتكتشف ماذا تريد فعلا من حياتها فأنهت كلامها « أنا بحاجة للتأمل قليلاً »

أعلن السيد ماكفى « التأمل لا يدر أموالا ربما يجب أن نتحدث عن دفع الإيجار مقدما »

تنهدت دارين « يمكننا العمل أفضل من الكلام »

ربما كانت أمها على حق وكل شىء فى العالم يتحقق بالمال ، سحبت حقيبتها من كتفيها وفتحتها « سأدفع لك الآن لو أردت ، هل تلائمك الشيكات السياحية ؟ »

فجأة ، أصبح ماكفى متورداً « إجلسى إجلسى ، استريحى » ونظر فى توقيعاتها على الشيكات ، ثم عدها بعناية « تدركين أننى لم أقدم لك أى وعد عن المزرعة ؟ »

www.liilas.com

أومأت برأسها «كل ما أحتاجه الهدوء والعزلة والمنظر، المطل على الجبال، مكان يمكنك أن تطل على كل ما يحيط بك»

«يمكننى ضمان ذلك، لو كان المنظر والمشاهدة تجلب أموالا، فهذه المزرعة ستكون نبع ثراء، ولو أردت إجراء أى اصلاحات للمنزل، إدفعى مقابل ذلك»

«جميل»

«لقد رضيت بسهولة»

«أجابته «أحاول التساهل مع الناس»

«أتمنى أن تعرفين إلى أين أنت متجهة هى مزرعة منعزلة ومنزل ريفى قديم لك جار واحد، وهو سيىء جداً، رجل مقزز لكن لو إحتجت المساعدة إطلبى مساعدته، فهو يمتلك مصانع خمور مشبوهة»

سألته «مصنع خمور؟»

أجابها وكأنه يقول كلمات قبيحة «مصنع خمور قديم؛ أضخم مصنع فى المنطقة»

هزت كتفيها فهى لا تعرف شيئاً عن المنطقة بعد وفاة أمها، عادت للمنزل وهى عازمة على الرحيل وأمسكت بالقلم وتشير إلى جنوب الخريطة فى الولايات المتحدة، ووجدت أركاديا، مجرد نقطة لا يلحظها أحد.

وهو يهز رأسه «السيدة التى تؤجر لك المزرعة، السيدة بيللى، لا توافق على وجود مصنع للخمور، ولا أنا، فهو أقيم بعدها بأعوام» وأضاف بعجرفة «السيد دولونج لن يشترى الزرعة أبداً ليزرع بها العنب فالسيدة بيللى لا تؤمن بالمشروبات الروحية ولا أنا، فالذى يشرب الخمور يدع اللصوص يسرقون

عرقه، والسيد دولونج فى رأيى ليس أفضل من قوار للسكارى والمخمورين»

قالت دارين بلا ارتياح «آم!!»

لكن ماكفى ردد حاتقا «السيد روبرت دولونج قد إستغل كل جزء من أراضى المنطقة ليهيئها لزراعة الكروم»

هو بالتحديد نوع من الرجال لم تتوقعى رؤيته، وسأقول لك شيئاً «وتمدد فى مقعده وكأنه على وشك إفشاء سر خطير» ألا يكفى أنه أجبر كل جيرانه على بيع أراضيهم، وهو رجل شاذ الطباع والعادات، خصوصاً عندما يرتبط الأمور بالخمور والنساء، فهو رجل لعوب، دون جوان من أردأ نوع، كان زواج أبويه خيبة مأساوية منذ بدايته؛ لم يكن لأمه أى حول ولا قوة مع تلك العائلة من التجار الجشعين بلا مبادىء أصبحت مدمنة حبوب مهدئة، لا أظنها فى سنواتها العشر الأخيرة كانت تدرى وتعى حياتها، ولذا لا عجب أنه لا يكن أى إحترام للنساء»

حدقت دارين بذهول، فهى لا تحب سماع الشائعات الخبيثة لكنه واصل حديثه «أسوأ رجل هو.. لقد ورط الأجواء فى الوحل وللدرجة التى جعل الطيور نفسها فى السماء سكيرة ومخمورة!»

قالت مندهشة «هو.. ماذا؟» فهى لم تسمع مثل هذا الإتهام من قبل.

«إنه يصيب حثالة خوره فى مجارى المياه وفعلا يجعل الطيور تسكر، ماذا أقول عن السمان والبط وما إلى ذلك، هل سمعت القول «يشرب حتى الثمالة؟» حسنا، فإن طيور جبل دولونج تشرب حتى الثمالة، إنها فضيحة ونداءة، أنا مذهول مثل كل المواطنين العقلاء».

www.liilas.com

جلست دارين صامتة، لا تدرى ماذا تقول، كان رأسها مشحوناً بصور الطيور التى تحلق وهى غائبة الوعى، وقال ماكفى «رغم ذلك فإن السيد دولونج لديه عدد من العمال الأجراء الذين يتلطفون للقيام بأعمال المعاونة، إن إحتجت لمساعدة أنا واثق ستجدين من يقوم بها، وأنك ستوجرين رجلاً مهذبا، فمن المعروف أنهم يفخرون بعملهم» وسلم لها المفتاح للمنزل الريفى.

وقفت وأسرعت ناحية الباب، ولديها إنطباع بأن السيد ماكفى رجل غريب وشاذ الطباع وغير لطيف.

وقال وهو جالس على مكتبه «هناك أمر آخر يا آنسة شيفيليد، قلت أنك ترتدين منزلا مؤسساً، المنزل مؤثث كما قلت:

«عظيم جداً» وابتسمت وهى تستدير للخارج ثانية.

«الأثاث على أية حال، ليس فى المنزل، فالمستأجر الأخير كان معه أثاث والأثاث مخزن، ومسئوليتك أن تعيديه للمنزل».

قالت وهى متلهفة على الخروج «عظيم جداً» لم تعى كلماته إلا بعد أن خرجت من المدينة ثم قطبت جبينها، وهزت رأسها متعجبة أثاث المنزل فى المخزن؟ هذا الميتز أجر لها منزلاً مؤسساً، لكن الأثاث فى المخزن؟ وجارها رجل يجعل الطيور تسكر من الخمر؟ وابتسمت فى عصبية، ربما كان وارن على حق، بأنها تعجز عن رعاية نفسها، وفكرت فى صورتها على غلاف المجلة، وتلاشت الابتسامة، وتريد تجاهل ونسيان الماضى وكل الآخرين، وواصلت مسيرها بسيارتها.

كان الواحة والمزارع تبدو بلا حدود تفصلها عن بعضها،

كانت هناك لوحات تدعو السائحين لزيارة قلعة دولونج ليتذوقوا الخمور.

مرت خلال مزرعة دولونج، فالعلامات تعلن أنها مزرعته، وأعلنت لوحة أخرى أنها فوق جبل دولونج، ربما تمتلك عائلته نصف المنطقة، ربما كلها فيما عدا المكان الذى استأجرته، وصلت فى النهاية لقمة الجبل، ولمحت صندوق بريد أسود يشير إلى مزرعة بيللى، وكان المنظر أمامها جميلاً أجل مما تخيلت.

أوقفت سيارتها أسفل شجرة توت ضخمة فى الفناء الخارجى وتطلعت إلى المنزل الريفى، كان لونه أخضر باهت، مع خطوط صفراء، وكأنه واجهة كنيسة نزلت من السيارة، كان هواء المساء منعشاً، كانت الطيور تشقشق، والسماء بلون شمس الغروب وهى تصعد السلم، نظرت ناحية الغرب وأخذت شهيقاً طويلاً، كانت السماء بلون بحر من الذهب المذاب وصافية جداً، بعيداً تحتها شاهدت نهراً واسعاً يتلألأ بشعاع الغروب..

حدقت فى السماء الصافية والوادى القابع تحت الجبل، وأدركت غريزيا أن ما فعلته هو الصحيح.

أمضت دارين إسبوعاً بأكمله فى تنظيف المنزل ومسحه وتلميع الأثاث والأرضيات والنوافذ؛ وأدت مهمتها بسعادة فهى تجهز منزلها، وللمرة الأولى فى حياتها تبدو الأشياء أصيلة حقيقية وليست مصنوعة كان والدتها دائماً تقول لها: «الإيهام هو إسم اللعبة» وبعد كل تلك الأعوام، تسعد دارين بالواقع الحقيقى، مهما كان مزعجاً، وكانت أسوأ لحظة لها عندما دخلت غرفة النوم الخلفية ووجدت أن المستأجر السابق قد علق صورها فى المجلات. على الحائط، نزعتها، ومازالت على نحو ما يدهشها صورها، فهى لا تعتقد أبداً أنها جميلة، وقالت فاون

www.liilas.com

لها مراراً أنها ليست جميلة، هى ببساطة لها وجه مؤثر، وجه يفضله المصورون وتحبه الكاميرا، هذا كل ما فى الأمر، تحت الصورة كانت هناك عدة تعليقات من المصور: عيون الغزلان عيون تشع بالبراءة؛ وفمها وشفتاها هذا الفم الأليف وتلك العيون الساحرة الغامضة، من تكون هى؟ هل هى نجمة اغراء وغوية أم طفلة؟ غاوية وطفلة معاً؟» غمغمت وارين لنفسها «إنها لجنة التطهير!!» وقذفت بالصورة هى سعيدة بالهرب من هذا اللهو الفارغ حتى قصة غرامها الطويلة التعسة والرومانسية مع سوليفان بدأت تبدو وكأنها حلم مزعج، هنا ستحيا حياة حقيقية، وتواجه مشاكل حقيقية.. مثل متاعب تنظيف الأثاث، كان فى المنزل الريفى ثلاجة واحدة وبوتاجاز واحد ومقاعد قليلة.

ذهبت إلى المخزن الملىء بالأثاث حيث كانت السيدة بيللى تخزن به كل شىء وجدت مجموعة تحف، وحاولت إخراج مقعد أثرى، أو إخراج المراتب والأسرة فلقد قضت اسبوعاً تنام على الأرض على السرير الحقيبة الذى اشترته فى رحلتها من نيويورك، شعرت وكأنها متقشفة ورعة لكنها تشعر الآن بالرغبة فى النوم على السرير مرة أخرى، إتصلت بمصنع دولونج تطلب أن تستأجر عمالاً وقالت لها موظفة الاستقبال «لا مشاكل، سنرسل لك واحدا قدر الإمكان، لكن لأيام قليلة، فالوقت وقت الحصاد، لكن يسعدنا دائماً أن نكون فى العون، مرحبا بك فى الجبل.

فى ظهر اليوم التالى وقفت دارين فى المخزن تحاول ترتيب الأثاث، وتعجبت كم عدد الذين أدخلوه للمخزن؟ ولم تتوقع مجىء عامل من مصنع الخمور حتى بعد أسبوع، لذا يمكنها أداء

بعض المهام الصغيرة، عندما تسللت أشعة الشمس شمس المساء من باب المخزن كانت تحاول إخراج الوسائد والمراتب، لكنها لم تستطع تحريكها، وإتجهت لحمل شىء أصغر، وهى تنظف بنطلونها من التراب فى المطبخ، لمحت مصباح مصنوع من طفاية حريق، صاحت «حسنا».

حملته وكانت على وشك الهبوط على السلم. لكنها خافت أن تتأرجح وتسقط، حلت المصباح على رأسها وأمسكت السلم المتحرك بيدها، وسعدت بذلك، لأن المصباح الغازى ربما يكن أفضل من تلك الحديثة، وهبطت السلم فى النهاية، ويدها تهتز من المجهود إلتفتت لتتجه إلى باب المخزن وسمعت صوتاً عميقاً سخيفاً بجوارها يقول «الآن، يجب أن أعترف أنك فعلت ذلك بمهارة، بمهارة عظيمة» بهتت من المفاجأة وأنزلت المصباح بجوارها كما لو كانت تحتمى به، كان الواقف أمامها رجلاً طويلاً قوى البنيان، مرتديا الجينز وسويتر أزرق وأبيض جميل، شعره أشعث بنى، وشفتاه تعلوها ابتسامة وذقنه غير حليقة، كان يبدو جميلاً أشعثاً وكأنه كان يتمرغ فى التراب لفترة، تساءلت من يكون هذا الرجل، وماذا يفعل هنا؟ كان وارين على صواب، هى حقاء لتذهب وحدها، لقد أمضت حياتها متعلقة يفاون للاشىء، سألته: «من أنت؟ ماذا تفعل هنا؟ أخرج من مخزنى»

كانت صوتها خافتاً يفتقد الحسم، ظل الرجل حيث يقف، كان منظره جميلاً حلو الملامح، ورفع يديه ببطء ليؤكد فى إيماءه أنه لا ينوى ضرراً وأنه صديق «جئت فى سلام» أدركت أن التراب يعلوها أكثر منه، حدق للحظة فيها «أنا من مصنع الخمور، لدى رسالة تليفونية لك» إجتاحتها الراحة لم تكن تتوقع

www.liilas.com

مجيء أحد منهم ، وأضاف « لم أنوى إزعاجك » ودس يده فى جيب بنطلونه الجينز وسحب ورقة مطوية ، ولاحظت أن قميصه مطبوع عليه رقم واحد ، وحروف تشير إلى مصنع دولونج واسمه ريب قيلد إخرج الورقة وقرأها « أنت يجب أن تتصلى بوارين ، لقد قال إنه أمر هام جداً ، وأنت بإمكانك إستخدام تليفون مخزن الخمور »

تناولت الورقة ، ووضعتها فى جيبها ، وهو يبتسم قال لها : « إن لم يضايقك سؤالى ، هل كانت الحفلة جيدة ؟ »

« ماذا ؟ » سألته « أية حفلة ؟ » وهو يوماً إلى السلم « حفلة الحصاد » واقترب وحمل المصباح عنها « أليس كذلك عندما تحمل السيدات المصابيح الغازية على رؤوسهن ؟ عندما يشعرن بالعزلة فى تلك الحفلة ؟ »

صاحت « آه ! » متذكرة تلك العادة الشهيرة ، وحدقت فيه ، وهى مذهولة لكنها ضحكت ، ودقات قلبها تتسارع والتقت عيونها بعينيه للحظة تلاقى طويلة ، كان يتفحصها مبتسما « هاى ؛ أيتها الجارة ، دعينى أحمل هذا الشىء » ونقل المصباح ليده الأخرى « داخل المنزل لا تدرين عندما يضاء النور ويصل ضياءه إلى مكان ما وبدأ شيئاً » .

فكرت للحظة أنه مازال غريبا عنها وتلاشت الابتسامة ، ولاحقها بقوله « كنت سأقول شيئاً لك فوراً ، لكننى خشيت أن تقعى من فوق السلم ، لا تحاولى اخراج أى شىء من المخزن بنفسك » طوحت خصلة من شعرها الأشقر للخلف ، قالت : « أعرف ، لقد طلبت من المصنع استئجار بعض العمال » واتجهت ناحية الباب وكان هو خلفها وقال : « لمساعدة موجودة إعتمدى على » وفتح لها الباب ، وسألها « ما رأيك ؟ أيمكننى

الحصول على وظيفة ؟ »

قالت : « بالتأكيد ، لكن لن يسعدك كثيراً يا سيد قيلد » وهى غير واثقة من مدى صواب إجابتها ، لدهشتها طوح رأسه للخلف وضحك ، ونظرت إليه بإستغراب « السيد قيلد ؟ لا تكونى رسمية هكذا نادينى يا ريب ، الجميع ينادوننى هكذا ، « أظننى سأناديك بالسيد أيا كان إسمك »

وقال : « أظننى سأناديك بصاحبة العيون العسلية ، مرحبا بالعيون العسلية »

كان صوته ضاحكا ممازحاً ، لكنها تمنت لو كان سوليفان نظر إليها بطريقة هذا الرجل ، بوصفها شابة وامرأة مرغوبة .

منتديات ليلاس الثقافية

الفصـــل الثانى

عندما تسكر العصافير

حاولت أخذ المصباح منه عند المدخل، لكنه صمم أن يحمله داخل المنزل، ونظر إلى المائدة الصغيرة التى أحضرتها من المخزن، ووضع المصباح فوقها، والتفت لينظر إليها، وهو يضع يديه حول خاصرتيه «ماذا تحتاجين أن أقوم به هنا؟» هزت كتفيها وأرجعت خصلات شعرها من وجهها للخلف، وتمنت فجأة أن يكون مظهرها جميلاً، ولكنه كان ينظر إليها باهتمام كبير، وتطلع فى أرجاء الغرفة حيث أعادت طلاء الجدران.. ليس بخبرة كافية.. بالطلاء الذى وجدته فى المخزن، ولم يكن هناك ستائر فى النوافذ.

وقال لها: «إعتدت المجىء هنا لمساعدة فريدا، فهى كانت مستأجرة المنزل؛ هى وابنها الصغير، ويمكننى مساعدتك أيضاً».

أجابته «أستحسن ذلك، سأدفع لك أجراً عادلاً، لكن بعض الأثاث ثقيل، أيمكنك نقله بمفردك؟»

رفع حاجبه، وعلت شفته ابتسامة، «يا حلوة، أنا أصارع الجرارات والأدوات الثقيلة طيلة الوقت، فلا مشاكل مع

الأثاث لكن هناك الكثير ينبغى عمله هنا غير نقل الأثاث، لو تنوين الإقامة فلن يفيدك إضاءة المصباح والمذياع فقط، فأنت بحاجة لعمل إصلاحات، المدفأة، لابد من إصلاحها فغرفة النوم باردة جداً فى الشتاء وأحد نوافذها لا يغلق».

طوحت شعرها للوراء ثانية، ورمقته متشككة، ولم تنوى سؤاله كيف عرف الكثير عن غرفة النوم، وأضح أنه وفريدا كان أصدقاء حميمين، ورمقها بنظرة فاحصة وكأنه يقرأ أفكارها «كنت أعرف فريدا معرفة وثيقة، لقد إستأجرت هذا المنزل لتنتهى من كتابة رسالة الدكتوراه، كانت أرملة ومعها طفل صغير، كنا جيران فى هذا المكان هذا ما فى الأمر»

نظرت فى عيونه الرمادية، التى كانت تبدو جادة، ونظر إليها متسائلاً: «إذن من أين جئت؟ وكيف أناديك؟ ومتى تريدننى أن أبدأ العمل؟»

ألقت بنظرة أخرى عليه، لقد أفقدها اتزانها ثانية، هناك شىء فى تلك العيون تفيض بالألفة، والحنان، وتطلق إشارات تحذير داخلها، ماذا سيجمعها واياه؟

اجابته «أنا من نيويورك، يمكنك أن تنادينى يا دير، ويمكننى أن أراك كلما كان لديك وقت فراغ، ألا تعمل فى مصنع الخمور طيلة الوقت؟»

هز رأسه وكأن عمله ليس موضوعا محبباً «وقت الحصاد أكثر من أى وقت آخر، وغداً الأحد، وهو يوم عطلتى أيناسبك؟ لكن الآن، لماذا لا أخرج السرير من المخزن لك؟ ليس فى المنزل غيره؟ فريدا كان لديها سريرها، على أى شىء تنامين؟ على الأرض؟»

فكرت دارين، حسنا، هو لا يعرف غرفة نوم فريدا فقط،

www.liilas.com

بل يعرف سريرها ولم تدرى ماذا تقول، وأجابته بسذاجة «أنا أنام على حقيبة سفر وليست متعجلة».

«النوم على حقائب السفر جميل لكن فى الخلاء، لكن أرضية المنزل صعبة وأصعب من قمة الجبل، سأخرج السرير لك، هو أقل شىء يمكننى عمله للاجئة من نيويورك».

قالت غاضبة: «لا خطأ هناك بالنسبة لنيويورك، وأنا لست لاجئة».

سألها: «إذن ماذا تفعلين هنا؟»

ولم تحر جواباً..

أومأ ناحية الباب «تعالى، سأقوم معك بجولة فى مصنع الخمور، ويمكنك الإتصال بوارين، وبعدئذ أعود لأخرج لك السرير من المخزن».

تذكرت وارين وغاص قلبها، كيف عرف مكانها؟ إن كان يظن بقدرته على إعادتها فهو مخطىء، وأجابته بحسم «لن أتصل بوارين» وكأنه توجه حديثها لفيلد ذلك النوع الثرثار، والله يعلم كم واجهت كثير من تلك النوعية فى حياتها.

«لقد قال إنه أمر ملح وعاجل» وارتسمت ابتسامة ساخرة على شفتيه، وقالت دارين لنفسها ماذا يضحكه هكذا على الدوام؟

وهمست: «كل شىء هو ملح وعاجل، لن أتصل به».

سألها: «هل جئت هنا للهرب والتخلص منه؟»

لم تقل شيئاً، وهزت كتفيها، فهى لن تبوح بخصوصياتها لهذا الغريب، الذى يقحم نفسه كصديق، ولمعت عيناه بمتعة ساخرة «هذا هو سبب مجىء معظم الناس هنا لمكان مثل هذا، للتخلص من مشاكلهم ويجدون أن هذا بعيد المنال، ويعودون

لكن حتى تعودين، لنجهز لك سريرك هل لديك مفارش؟ وسائد؟ بطانية؟»

فكرت دارين أنه فعلا وقح، وهى لا تريد إستمراره فى أحاديث غرف النوم والأسرة ومفروشاتها، لكنه إستطرد «آه، لا تذهلين هكذا، أنا أسأل فقط».

أجابته «أبداً، يمكننى وضع حقيبة النوم على السرير، وأشترى باقى الأشياء فيما بعد»

هز رأسه غير مصدقا «لا أدرى لماذا ضايقت نفسك بتأجير هذا المنزل، لماذا لم تأخذين أشياءك الضرورية وذهبت إلى غابات الشمال؟ ويمكنك الخروج مرة واحدة فى العام لشراء طعامك»

قالت: «آه؛ فعلا، هل ستخرج لى السرير أم لا؟»

ابتسم ونظر إليها من قمة رأسها لإخمص قدميها «سأخرج لك السرير، بكل سرور»

وهما يخرجان إلى المخزن، إتجه إلى الجرار وأداره وأوقفه أمام باب المخزن، وتناول حبلا سميكا، وتسلق السلم المتحرك وناداها «إركبى الجرار، سأنزل السرير، لكن يجب أن توجهى ذراع الجرار» سألته «ماذا ستفعل؟ هل ستسقط المرتبة فوقى؟»

«يا للعار، ألا تثقين بى؟»

إحتجت «المرتبة ثقيلة، لو ربطتها بالحبل ستقتل نفسك، وتقتلنى أيضاً».

بينما كان يربط السرير والمرتبة بالحبل، رمقها بنظرة ساخرة «أعذرينى، لقد حاولت أن أوقع سيدات على المرتبة، لكننى لم أحاول أبداً أن أوقع مرتبة فوقهن قليل من الثقة من فضلك،

www.liilas.com

وإن لم تثقى بى، ربما يكن لديك إلمام ببعض مبادىء الفيزياء؟ ألم تسمعين أبداً عن الرافعة؟»

تطلعت إليه، ولمحت أن الذى فوق السلم رافعة حديدية وكان يلف الحبل حولها بمهارة، وواصل حديثه «هل تعرفين كيف تعملين عقدة للحبل؟»

«لا أعرف، ولا أجيدها، أنا بالكاد أربط حذاء التنس، ماذا تفعل عندك؟»

ضحك «لا تشغلى بالك بربط العقدة، هى عقدة إنسيابية، عندما تجذبين نهاية الحبل تنفك من تلقاء نفسها، الآن إنتبهى، حركى ذراع الجرار، ثم إجذبى نهاية الحبل، إنها أمر سهل».

بعد أن تم إخراج السرير من المخزن، قال لها: «إنظرى؟ لم يكن صعباً أبداً»

كان العرق يتصبب ليغطى صدره وهو يهبط السلم المتحرك، وكان شعره يغطى وجهه، وصعد ليركب الجرار، وبدلاً من الإتجاه للمنزل إتجه إلى طريق لم تلحظه من قبل فوق الأعشاب ناحية قمة الجبل، حدقت متسائلة «أين..؟»

«أنا أختنق من الحر، وأنت أيضاً، لنأخذ حماماً بارداً، ونعود لنجمع أجزاء السرير لك».

تساءلت ثانية «أين؟»

«هناك بحيرة فى مصنع الخمور، لا تقلقى دائما تكون مهجورة فى هذا الوقت من النهار»

«لا أريد السباحة، ليس لدى مايوه، ولا تظن أننى سأسبح أمامك عارية أمامك، لأننى لن أفعل ذلك. رمقها بنظرة ساخرة «الغطس عارية وليس السباحة عارية، ولن أطلب منك أن تخلعى ملابسك أمامى، فأنا لم أتعرف عليك إلا من وقت قليل،

يمكنك السباحة بملابسك، هذا ريف؟»

قالت معترضة «بملابسى؟ فى بحيرة؟ بحيرة قديمة؟ ليس بها مطهرات ولا شىء؟ لا تبدو نظيفة لى؟»

قالت متهكما: «فتاة المدينة، الرب هو الذى خلق البحيرة، وأحسن خلقها، لا تكونى منتقدة».

وقبل أن تفكر فى العودة، إنطلق الجرار وهى تهتز لتصطدم بذراعه وسألته:

«ماذا؟» كان هناك حيوان بأنف مستطيل صغير الحجم يمرح فوق العشب ويبدو وكأنه خارج من فيلم من أفلام الخيال العلمى، أجابها: «إنه سلحفاة أمريكية عجوز، تخرج فى هذا الوقت لترعى العشب، وهى غير مؤذية».

«من أين تجىء؟ هى لا تعيش فى البحيرة أليس كذلك؟»

ضحك «السلحفاة تعيش فوق الأرض يا فتاة المدينة، وتتجه إلى الشمال كل عام، من يدرى؟ ربما عندما تعودين إلى نيويورك، ربما تأخذين واحدة لجيرانك».

«ربما لن أعود إلى نيويورك ثانية»

وهى لا تدرى ماذا ستفعل، فلقد ارتبك تفكيرها منذ أن جاء هذا الغريب ليشوش عليها أمرها.

قال وهو يرفع حاجبه متهكما «آه، فقدت سحرك وفتنتك؟ فى عمرك هذا؟ يا لأسفى عليك؟»

فكرت فى سرها، فى عمرى، لقد عملت منذ عمر الرابعة، ماذا تعرف عن فقدان الرغبة أو السحر؛ أنت أيها العابث وقال لها بهدوء «ربما تعودين، معظم من يجىء يعود، لدينا كل شىء فى العالم هنا.. ما عدا طريقة للمعيشة بدون

www.liilas.com

عبء يقصم الظهر».

سألته بفضول: «إذن لماذا تعيش هنا؟»

«لأننى أفضل أن ينقصم ظهرى على أن أرحل لأننى أحب المكان، لماذا أنت هنا؟ بخلاف اليأس والملل».

كانا قد وصلا قمة الجبل التى تتلألأ تحت أشعة شمس الظهيرة، وعلى الجانب البعيد كانت فروع أشجار السنديان تتعانق مع مياه النهر بحنان، فى الشمال، كانت أشجار الكروم تغطى المكان على أبعد من مرمى البصر، كرر سؤاله «أسألك لماذا أنت هنا؟ بالإضافة للملل وفقدان الجاذبية والسحر».

كان منظر الكروم والبحيرة الوادعة، يذكرانها بتعقيدات حياتها «أليست فقدان السحر والجاذبية بكافية؟»

أجابها: «ليست كافية هنا» وهبط من الجرار، وفتح الباب لها، ومد ذراعه ليساعدها وقال: «فوق قمة الجبل لن نسمح بتعكير صفو البال، بل المرح الصافى البسيط» ونظر إليها من أعلى «تعرفين، أنه وجهك مريح، لطيف يبدو وكأنك لا تعرفين مدى دلالك؟»

تسارعت خفقات قلبها، وفجأة إشتعلت بوهج شمس أغسطس، وتراجعت خطوة للوراء، وابتسم لها «لا تقفين هكذا، يا صاحبة العيون العسلية إخلعى نعليك»

«نعلى!!»

سألها: «أليس هكذا تسبحون فى نيويورك؟ أتسبحون بأحذيتكم؟».

بحق السماء، إنه مستحيل، ولا تستطيع السيطرة على أفكارها معه، استندت إلى باب الجرار، وخلعت حذائها وجوربها، شعرت بحرارة العشب تحت قدمها، وقف عارى

القدمين بجوارها، ونادى «تعالى» مشيرا بيده إلى ماء البحيرة وقادها، واتبعته عند حافة البحيرة ترددت وسألته «أواثق أنها على ما يرام؟ ألن يعترض مالكها؟ أقصد، أنها ملكية خاصة»

حدجها بنظرة استغراب وجذبها «لن يعترض بل يسعده هذا، أضمن ذلك».

دقت بكعبها فوق الرمل «أواثق أنت؟»

«نعم، لكننى أعرف سبب تخوفك، يا للأسى، تعيشين فى نيويورك ذات العشرة آلاف مجرم وتخافين من مياه صافية»

«لست خائفة، وحتى لو كان الماء صافياً فالوحل ليس كذلك».

قال بحسم «أى شخص يشعر بالحر والقذارة مثلنا ينبغى ألا ينظر للوحل» وحملها بين ذراعيه ودفعها فى ماء البحيرة «ها. ها!! جميل أليس كذلك؟»

قاومت شعورها الطبيعى بأن تطوق عنقه بذراعيها، كان الماء بارداً، وشعرت بالراحة بعد كل هذا الحر والتراب وقالت «نعم!» وأكمل هو «عظيم، قولى هذا» ضحكت «عظيم، لكننى أظن أنك رجل مجنون، هيا نخرج من هنا».

«لو تركتك تخرجين، ستقفين ولو وقفت، ستخوضين فى الوحل، هل الوحل لطيف؟». وتركها تقف على قدميها، وابتعد وهو يسبح فى المياه؛ وهى تشعر بحلاوة برودة المياه التى أنعشتها، عادوتها ذكرى أمها، وسوليفان، لكن سوليفان تطايرت وتلاشت صورته بسرعة، لكن لازمها شعور غامض بالذنب، وكان ريب قيلد قد وصل للشاطىء الآخر وجلس تحت سنديانه، وواصلت هى السباحة، وفى النهاية لحقت به تحت السنديانه، كان مستلقياً مغمض العينين، مثل قط، يبدو

www.liilas.com

كأنه تناسى وجودها، جلست بجواره، وبعد فترة فتح عينيه «لقد تأخرنا، يجب أن أجهز لك السرير، حتى يمكنك استخدامه هيا بنا»

أومأت برأسها، واستلقى هو على ظهره، ثم إعتدل «هيا بنا، كل الأشياء الجميلة تنتهى سريعاً»

سألها «متى ستركبين تليفون؟»

«أبداً» لقد ذكرت نفسها بأنها جاءت هنا للاختلاء بنفسها، وهذا الرجل قد إقتحم خلوتها ليزعجها «لا أريد جهاز تليفون».

«إمرأة بمفردها بحاجة لتليفون أنت فى مكان منعزل، يجب أن يكون لديك تليفون».

«سأكون بخير».

وهو يحذرها «هذا مكان منعزل، لكن هنا مسكونون، خصوصاً أيام الحصاد وتحدث هنا أحياناً بعض الجرائم الصعبة كما كنت أقول لفريدا، وفى النهاية أصبح لديها تليفون، حتى يمكننى الإستغاثة بمن يساعدك وقت الحاجة، وأيضاً ثلاثة كلاب».

ساعدته فى حمل الأثاث، لكنه هز رأسه، وحمله وحده، دون أن تخبره أدخله غرفة النوم الأمامية، ليذكرها كم هو معتاد على المنزل، وخصوصا مع الساكنة السابقة فريدا.

«أنا لست بحاجة إلى تليفون ولست بحاجة إلى كلاب، ولن يضايقنى أحد ولو حدث، لدى بندقية»،

سألها «معك مسدس؟»

«نعم».

«وماذا تعرفين عن المسدسات؟»

قالت ببساطة: «نطلقها».

قال متهكما: «تطليقها، عظيم، عفوا سأحل المراتب، هل هذا كل ما تعرفينه؟ ألم تفكرى أنك يمكن أن تصيبى نفسك بها؟ بدون قصد؟ حدث هذا مرارا هنا».

«حسنا، لن أحملها دائماً، ولن أخرجها من حافظتها، أحملها فقط للضرورة».

تستعملين بندقية دون معرفة كيفية استخدامها، ستورطين نفسك أضمن ذلك، تخلص منها، إقذفيها فى البحيرة، أو إدفنيها فى التراب، وإبعدى عن طريقى».

لم يعجبها طريقته فى إصدار أوامر إليها،

وقالت: «تعرف» وهى تتبعه فى غرفة النوم «أنت تحب الرئاسة»

أجاب بإقتضاب: «أنا حساس، سأحضر لك كلبا، غدا، وتتخلصين من البندقية واتصلى بشركة التليفونات، لو أردت يمكنى الإتصال بهم نيابة عنك».

ووقفت على السلم، محاولة أن تضع حدا له «لقد استأجرتك لتحمل لى الأثاث من المخزن، وليس لتقدم لى نصائح عن طريقة حياتى»

«آه، ألم تعرفى الحياة والعالم وكل شىء فجأة؟ أنت فتاة لا تعرف حتى الوحل».

اعتبرته دارين شخصا متطفلا وقحاً عنيداً، وهى لم تكد تتخلص من تحكم وارين فى حياتها حتى يظهر لها شخص آخر؟

وقالت له «من فضلك لا تقل لى ماذا يجب أن أفعل، طيلة حياتى والآخرين يقررون لى ما أفعله، لقد تعبت،

www.liilas.com

ولا أريد أن يقرر لى الغرباء كيف أدير أمورى » .

أجابها « لقد عشت طيلة حياتى وأنا مسلح بمسدس ، وحتى الذين يعرفون كيف يستخدمونها يقعون فى حوادث ، صدقينى »

« ليس هذا مهما ، أنت تحاول إخضاعى ، أنا مستعدة لسماع صوت العقل »

« إذن أنصتى له »

« يا سيد فيلد » .

ألقى بالمرتبة فوق السرير « إسمى ليس السيد فيلد ، يجب أن تعرفى »

نظرت إليه وهى مستغربة ، ونظرت إلى الاسم المكتوب فوق قميصه ــ ريب فيلد ، وبحروف كبيرة دولونج ديمونس ، ريب فيلد » .

« لكن »

« إسمى دولونج ، ريب دولونج أو ربما سمعت الحقيقة المرعبة روبرت »

نظرت إليه فى دهشة وذهول واستطرد مبتسماً : « لو التقيت بالسيد ماكفى ، كنت ستعرفين كل شىء عنى ، أنا ، الذى يجعل الطيور تسكر من الخمر ، واسمها .. والخ »

« لكن .. قميصك .. »

إتسعت ابتسامته « ريب إسمى الأول « المختصر » وهذا قميص قديم ، عندما كنت ألعب كرة القدم ، كنت ألعب فى خط الوسط ، حاولنا تكوين فريق فى المصنع ، لكن موسم الحصاد دائماً يفسد جدول المباريات ، ولهذا أقلعنا عن اللعب ، الآن .. أسلم عليك وأرحل ؟ »

فى ذهول « آه .. هل فعلا تجعل الطيور تسكر ؟ »

« بالتأكيد لا ، حسنا ، مرة واحدة ، حدث هذا ، مصادفة ، عندما كسرت مواسير الخمر ، وهذا ما استخدمه ماكفى فى حملته للتشهير بى ، هو دائماً يحب التهويل ، ألن تسلمى على ؟ »

« كان ينبغي أن تخبرنى »

« ظننت أنها تعتمد على البداهة ، وأنا أعرف ماكفى ، مؤكد قال الكثير عنى وكنت أتمنى فرصة للتحدث معك دون أن يطاردنا شبح ماكفى »

كانت يداه ممدودة « لماذا .. لماذا يكرهك كثيراً ؟ »

أجابها « لشىء واحد ، عندما إشتريت الأرض المحيطة بالمنزل والمزرعة ، لم استعن به »

« فهمت »

« حسنا ، سأجىء غداً لمساعدتك فى نقل باقى الأثاث ، ونامى الليلة جداً وأحلمى بى » ورحل .

لم تقابل أحداً فى حياتها مثله ، لقد حرك مشاعر متناقضة داخلها ، لكنه أشعرها بالسعادة ، ربما بسبب عبثيته وحيويته ، وإحساسها بأنه رجل خلق للتمتع بالحياة فقط ، وإن كان جعل طيور السماء تسكر ذات مرة ، فهو جعلها هى الأخرى الآن ، بدون أن ترتشف قطرة خمر واحدة .

الفصل الثالث

دون جوان وأميرة الأحلام

أشرق الصباح وسطعت شمس نهار جديد فوق الجبل الذى تلألأ بشعاعها الفضى، واستيقظت دارين، مرتاحة لنومها فوق سرير ثانية، وللتغير الذى شعرت به، تمددت وابتسامة بلا سبب واضح، وسمعت دقات أجراس كنيسة تتهادى من الوادى، ونعيق غرابين فوق شجرة توت، قامت من سريرها لتأخذ حماماً، وتتناول إفطارها المتقشف وتشرب فنجان قهوة، وهى حافية القدمين ارتدت بنطلوناً أبيض، وتى شيرت وخرجت إلى الدهليز وجلست، كانت ترتشف قهوتها وتتطلع فى قمة الجبل كانت سحابة رمادية تظلل وادى النهر وكان شعرها يتدلى ويلمع فى وهج الشمس. تذكرت أن نيويورك تبعد عنها بـ ١٧٠٠ ميل وأن وارين بعيد عنها جداً، وكذلك سوليفان، بينما ريب دولونج قادم على الطريق، تمددت وابتسمت ثانية، وهى تشاهد الغربان فوق شجرة التوت، هى يجب ألا تفكر فى ريب دولونج هو يعاملها كأنثى، كما قال ماكفى الكثير عنه، لكنه عاملها لم تلقى معاملة من سوليفان، يعاملها بدفء وحنان

لم تشعر به من قبل، وأيضاً بعبث لم تألفه من قبل، وأعجبها ذلك، وأرعبها أيضا.

فهى ليست من النوع الذى يقبل بمجرد العلاقة الجسدية فى الحب، وهذا كما يبدو كل ما يريده دولونج، ولقد علمتها فاون أن تنتبه لهذا جيداً، علمتها أن عملها هو الأهم، مهما حدث، وبقدر ما كانت ناجحة بفضلها، ومع ذلك لم تستطع أن تتحمل أوقات أمها العصبية، فلقد قتل أباها فى حادثة فى منجم عندما كانت طفلة صغيرة، وترك أمها وهى بقليل من الضمان المالى، واضطروا للرحيل عن مدينة كنتاكى الصغيرة، وهى لا تتذكر أباها، لكن أمها قالت أنه كان طويلاً ورشيقا، وحتى ذكرياتها عن كنتاكى ملبدة غائمة، لكن هل هذه النتف الصغيرة من الذكريات هى التى جذبتها للعودة إلى الجنوب؟ هى لا تدرى، كل ما تتذكره أن فاون أمها عاشت لأجلها، عاشت لتوكد للعالم شيئاً ما، كانت دارين هى الحلم الأمريكى، كما قالت أمها، كلاهما كان حلماً أمريكياً، لأنها صعدت إلى القمة بعد كونها أرملة عامل مناجم! وهى ابنته!! بعد كل هذا البؤس يجمعون كل تلك الثروة! والشهرة!! وقصة نجاح خالدة، كل هذا بفضل إصرار وجهد أمها.

كان سوليفان ثمرة دعاية فاون، لكنه إستغل دارين كأداة فى برنامجه، وشعرت دارين بالجذيعة، والجرح، وكانت أمها فاون تكرر لها «إسم اللعبة هو الوهم يا شيفى، سوليفان ملائم لك تماماً هو ما يحتاجه عملك»، هزت دارين رأسها وهى تحملق فى الفضاء، هى لن تتزوج رجلاً يساعدها فى عملها، ولن تتزوج من تعتبرهم فاون «ريفيين» ماذا يجمعها مع صاحب مصنع الخمور، رجل بعيون عسلية لامعة، إن كانت

www.liilas.com

أثرت فيها ربما لأنها تخلصت من سوليفان، هذا كل ما فى الحكاية.

عند الضحى، تذكرت دارين أنها يجب ألا تنساق له، كان قد جاء مرتديا ملابس العمل، وهو يناديها «هيا! جئت لأنقل الأثاث ولأدير لك طريقة حياتك»

سألته: «ألا تستطير نقل الأثاث؟»

«لا، ذهبت إلى الكنسية فى الصباح، ما دعوت الرب به أكثر مما تتصورين، سألت قلبى، وقررت أنك بحاجة للنصح والعون، سنبدأ الآن».

فتح باب الجرار وأنزل الكلب الذى خطا ناحيتها، مخرجا لسانه الوردى، سألته «ما هذا؟» وهى تحدق الكلب الذى بدأ يلعق قدمها،

«أنه ليمبو رجر»

قالت معترضة «ليمبورجر؟»

«هو كلب حراستك، أحضرته لك وأنت ستعطيننى البندقية، أتذكرين؟»

كان الكلب يلعق ركبتها «ابعد، ابعد!» وكانت على وشك أن تضحك «أف! تسميه كلب حراسة؟ ألم أقل لك أننى لن أسلمك البندقية، آف!!»

«هو كلبك! وهو ذكى، يحميك وهو ذكى، لذا أسميته ليمبورجر»

«ليمبورجر! ابعد عنى! الآن لست بحاجة إلى كلب».

«سيء جداً، لديك كلب، يحبك هو معجب بى فقط، هذا المسكين، انبهر للمرة الأولى، هيا ننقل المكتب والأرائك، هكذا دائما أقضى أيام الأحاد»

قالت بنفاذ صبر واحباط «آه، حقاً» لكنها أصبحت تحب الكلب، لم تسمح لها فاون أبداً بإمتلاك كلب.

«وهذا هو طعام الكلب»

وضع عشرون بيضة «وهذا خزين طعامه «وسلم لها لفافة» سألته «ما هذه؟»

«ملاءة ومفرش ربما تنامين عليها الليلة، وطالما اليوم الأحد، فالمحلات مغلقة، وإن لم تجدى مفرش، سأجعل نفسى وسادة لك»

«هذا مجرد تمنى حالم» ووجدت نفسها تبتسم رغما عنها.

«حسنا، الأمانى هى الأمانى، والأفكار هى الأفكار، على الأقل أظن أنها فكرة الآن البسى حذائك، يا ذات الوجه اللطيف، البسى اليوت هذا، إن لم يكن لديك»

«أنت فعلا مستحوذ»

«وهو كذلك، امشى على الأعشاب الشائكة بقدميك العاريتين، وهى ستدمى قدم فتاة المدينة، أحذرك»

أرعبتها الفكرة وصورة الثعابين، وقال لها: «إرتدى قفازات أيضاً» سمعت صوته الأحمق يناديها، وتأكدت أنه شخص مسيطر، وأكمل حديثه «حولنا عنكبوت بنى، دائماً تفسد الأثاث، أحذرك»

فكرت بضيق أنه أفسد حنيتها بكل أنواع الكائنات الضارة، ارتدت اليوت، وعادت تسأله: «لا يمكننى أن أقتنى كلب، ماذا أفعل معه إذا عدت إلى نيويورك؟»

«أنت لست واثقة إن كنت سترجعين إلى نيويورك»

أعترفت «أعرف، لكن لو رجعت، ماذا سأفعل بالكلب؟ هو كلب ريفى، يكره المدينة»

www.liilas.com

«أنت على صواب، أظن يمكنك العودة وسيستاء الكلب، وأقنعك للمحكمة»

«كن جادا»

«لماذا؟ إنه مزاح، لم أكن جاداً أبداً مع النساء»

سألته: «من أين جئت بالكلب؟»

«هو مثلك، تسلل هنا، بتلك النظرات التى سحرتنى وجعلتنى أحبه، مثلك، ليس أكثر من دمية مثلك، بحاجة إلى مكان، لكننى لا استطيع إيواء أى كلب متسكع، هنا، لذا فهو ملكك، كل فتاة تأتى هنا بحاجة إلى كلب»

جاء ليبورجر خلفهما، عندما نزلت من الجرار أسرع نحوها تحت قدميها، وقفت هى تراقب دولونج يفتح الصندوق ويخرج الحبل وقالت «لست فتاة مزرعة، حقيقى»

«ألست كذلك؟ إذن من تكونين؟ أنت تعيشين فى مزرعة، أليس كذلك؟»

لم تجر جوابا، وأطبقت شفتيها إحباطا وقالت: «يمكننى مشاهدتك فى الميدان الخامس، وأنت تشبه أولئك الذين لا يكفون عن الشجار هناك فى نيويورك»

تدحرج ليبورجر وتقلب فوق العشب مسروراً، وتعجبت دارين إن كانت نظراتها وهانة فاتنة كما قال دولونج.

أمضت الظهيرة هى ودولونج فى نقل الأثاث من المخزن، وأدخلوه المنزل، وضحكت كثيرا من المصادفات التى وقعت لهم مثل الاصطدام بالحائط، وكان دولونج مرحاً جداً، وتساءلت لماذا هو رجل محبوب ومسيطر أيضاً؟ فى النهاية شعرت بالتعب والحر والتراب يغطى جسدها كله، وقال لها بعد أن أكمل نقل الأثاث «لا تعودى إلى نيويورك، لا أريد أن أعيد كل هذا إلى

المخزن»

طوحت شعرها المتناثر للوراء وهى تنظر للغرفة «تبدو جميلة، مع ذلك»

«آم م، جدران وردية، ستاثر مقاعد مريحة لونه أخضر، أساعدك إن كان عندك عمى ألوان»

«حسنا، أحبها.. أنها..»

ولم تجد كلمة ملائمة..

«أنها أشياءك، لأنك التي نقلتها، وستعيدينها للمخزن، والآن نظمتها.. مثلك، تبدين وكأنك مشتتة الأشلاء، بطريقة غريبة»

«شكراً لك»

ابتسم «مرحبا بك، هيا، نذهب إلى البحيرة، ونتناول غداءنا أنا أموت جوعاً»

قالت مذهولة «آه، ليس لدى طعام كاف، لكن يمكننا تناول بعض السندويتشات واللميوناده»

سألها «لماذا لا نتناول الدجاج المقلى «فرايد تشكين» معى فى المبرد بالجرار؟» ويمكنك أن تقولى عنى الآن الرجل الذى يفكر فى كل شىء حتى.. هذا «وأخرج من جيبه لوحة معدنية صغيرة، سألته «ماهذه؟»

«إنها علامة ليبورجر، لقد أخذته ليلة أمس إلى الطبيب البيطرى ليفحصه ويطعمه!»

غير مصدقة «ليلة الأحد؟»

«ألست ذو نفوذ هنا، لقد مارست نفوذى ورشوتى بالخمر لأضمن خلو الكلب من الفيروسات».

غمغمت «أظن كانت هناك أشياء أفضل تقوم بها ليلة

www.liilas.com

الأحد »

« مثل ماذا ؟ مطاردة النساء ؟ » وهى تسترجع ما قاله ماكفى « بصراحة ، نعم » هز كتفيه « لقد طاردتهم فعلا ، ولا واحدة منهن تلائمنى ، الآن لديك سيقان تصلح للجرى فى سباق »

حاولت ألا تبتسم ، لكن دون جدوى « ألا تكن جاداً أبداً »

« فى العمل أنا جاد ، بالنسبة لأى شىء آخر ، لا ، خصوصاً مع الفتيات اللطيفات ، أيخيفك هذا ؟ أظن ذلك »

دائماً يسأل أسئلة ماكرة ، قالت فى النهاية « لا أدرى كلاهما سيان لى »

كل ما قاله « آم م » وإبتسم .

إشترت مايوه سباحة ، قطعة واحدة لونها ذهبى ، ظنت أن طول قامتها لا تسمح لها بإرتداء البيكينى ، رغم أنها ارتدت كثير منها فى عروض الأزياء ، تحت ظلال شجرة السنديان قاما بتغيير ملابسهما ، وشعر بإحساس غريب وهو ينتظرها على الشاطىء ، هذه المرة تسابقت معه فى المياه ، وحاول أن يغرقها ، وضحكت وهى تغطسه أيضاً ، بينما غاص فى الماء وحاول جذب قدميها ، وعندما طفا على سطح الماء حاولت هى إغراق رأسه ، بعد ذلك خرجوا من المياه ، وأحضر دولونج الطعام من صندوق الجرار ، كانت دارين تشعر بالإنتعاش والجوع ، وهى تتناول الطعام شعرت بأنه أسعد يوم فى حياتها ، سألها وهو يصب كأساً لنفسه « ما الحكاية ، تأكلين ، ولم تشربى الخمر ، ماذا تظنينه إنه نبيذ حلو ؟ » كان مازال مرتديا المايوه وحافى القدمين ، وكانت هى ترتدى الجاكت « أنا لا أعرف الجيد من الردىء فى الخمر ، لم

أشربها أبداً »

« على الأقل تذوقى ، إنه لطيف ، أفضل خمور العام ، كسبنا جائزة عنه ، والكروم تنمو حولنا هنا ، ولا تتركى الخمر يحدق بلا جدوى فى إنتظار شفتيك ، كونى رحيمة به »

تناولت الكأس وارتشفت قطرة وقالت « ماذا أقول ؟ هل أنا مثل ذواقة الخمر الآن »

« يجب أن تقولى أنه أفضل خمر فى العالم وتشكريننى »

أخذت رشفة أخرى « ليس سىء » قال مستنكراً « ليس سىء ، النساء تقتلنى بنفاقهن فى الواقع »

« قلت لك لا أعرف شىء عن الخمر وهى تتضاحك » أخبرنى كيف تصنع الخمور هل فعلا تمشى على الكروم بأقدام حافية وكل تلك الأشياء ؟ »

« صنع الخمر أصبح فنا ، وعلما ، وتكنولوجيا لقد أدخلت صنع الخمور هنا من كاليفورنيا وأنا أهتم بترتيب زراعة الكروم أنظرى لهذا الفضاء ، لقد غرست كل كرمة فى أفضل موضع » أشار إلى الوادى الأخضر الفسيح « أنظرى لهذه الأرض لموقع الجبل ، والوادى ، ملائم جداً للكروم ، تشبه وادى الراين ، أنظرى للتربة الخصبة « التقط حفنة تراب بين أصابعه » ليست مثل التربة الجنوبية التقليدية ، أنها رمادية خصبة ناعمة رملية ليست رطبة تماماً ولا جافة تماماً ، ملائمة جداً « أكمل بصوت خفيض » فى القرن الثامن عشر ، جاء بعض القساوسة هنا من فرنسا فى عمل تبشيرى ، حسنا ، الرجل الفرنسى هو هو ، عندما جاءوا رأوا أنه بلد يصلح لصناعة الخمور ، واستدعوا أبناء وطنهم ، لذا فإن جدى جاء أيضاً وبدأ هنا ، بعمل شاق ، وتطلع طموح فى عينيه ، بالحلم الأمريكى القديم ، ياه ؟ »

www.liilas.com

تفحصت ملامحه، الحلم الأمريكى، هذا ماكرست فاون نفسها لتحقيقه، لكن هذا الحلم حلم عائلة دولونج، يبدو حلما جادا ومرضيا، ويبدو أنه تحقق، طوقت كأسها بأصابعها «هو بنى كل هذا»

صحح لها «نحن بنيناها، جيل بعد جيل، ومازلنا نبنى؛ على الأقل، أحاول من ناحيتى، أحياناً ليس سهلاً»

«لماذا؟»

«بعض الناس لم تعد تؤمن بالأحلام أو أن أحلامهم بعيدة عن هنا، هذه الأرض لفظت كثيرين، بما فيهم أبى، شاهدت ذلك، وشاهدت تحطيم قلب أمى، فهى لم تألف هذه الحياة وكانت تتمنى حياة أفضل».

وضعت كأسها وتذكرت ماقاله ماكفى عن عائلة دولونج وزواج أبويه البائس وقالت بلطف «آسفة»

هز رأسه وكتفيه «لقد تنكرت لهذا المكان، وكان لزاما عليها ذلك، بأى معيار لى شقيقين لايؤمنان به أيضاً، لا يريدونه، عندما توفى أبى كان الوادى لايثمر جيدا، جذبتهم أضواء المدينة أحدهما يعمل مصرفيا فى أتلانتا، والآخر جراح تجميل فى ميفرلى هيلز، اشتريت نصيبهما، لقد أمضيت الأعوام العشرة الأخيرة أسكب دمائى وأموالى على أرض الوادى».

سألته: «وماذا بعد؟»

«حولتها إلى خور، إذن تذوقيها حقا تذوقيها».

أسند ذقنها بأصابعه وتطلع فيها، ببطء، قبلها، شعرت دارين وكأنها فى حلم يقظة، كانت قبلته مسيطرة ورقيقة، وللحظة غاب عنها الوجود ماعدا شعاع الشمس ولهيبه، وابتعدت عنه منتبهه لخداع أحاسيسها،

وحدقت فيه بعيون مستنكرة «آسفة إن كنت تظن أن من حقك أن تفعل ذلك، كان يجب ألا تفعل؟»

«حقاً؟ أهذه هى النتيجة؟»

اشتعلت خدودها خجلاً، فهى لم تمنعه، بل شجعته، واستلقى هو تحت الشجيرة متطلعا فى السماء «إنها غلطتك أنت، بشفتيك المغرية هذه، بالإضافة إلى كونى تعبت فى نقل أثاثك ومنحتك كلب حراسة، وتبخلين على بقبلة إمتنان؟»

«أنا ممتنة لك جداً، ولمساعدتك مستعدة لدفع مقابلها، واكتب لك شيكاً الآن، أشكرك على الغذاء لكن لا أدرى لماذا أشكرك على الكلب، لكن إن كان يرضيك ويريحك، أشكرك، أيضاً لكن أبوابى ليست مفتوحة على مصراعيها لذلك النوع من العلاقة».

انتفضت ناحيتها «علاقة؟ أظن سأعرف أنك تريدنى أن أتزوجك سيىء جداً، أنا متزوج فعلا، ولا يمكننى الطلاق».

سألته «أنت متزوج؟» وشعرت بصدمة وجرح، فهو لا يتصرف كرجل متزوج، أومأ برأسه موافقا، «متزوج من أرضى، وحتى الموت، لكننى أمارس حماقات، هل ستمارسينها معى؟»

«دائماً تمزح، ألن تتوقف؟»

«لا، وبصراحة تبدين كفتاة تشتاق للضحك، والتسلية، دون خيط يربطك هيا تعالى لتتناولى علاجك، أظنك مثقلة جداً بالهموم».

قبلها وشعرت كأن قبلته بمذاق الخمر، وقال وهو يقبلها «نيويورك تلتقى مع الطبيعة».

فعلا كانت تتمنى ذلك من البداية.

www.liilas.com

الفصل الرابع

العودة إلى الطبيعة

قطع الكلب ليبورجر عليهما لحظة التلاقى والتحليق فى سماوات الحب، وأعاد دارين إلى أرض الواقع، وضحك دولونج «آووب ربما كانت على حق، فكرة إحضار الكلب لم تكن صحيحة، إبعد ياليبو، لن تحميها منى» وهى تحاول الابتعاد عنه «لست متأكدة»

وأمسك بها وأبعد خصلات الشعر المتناثرة على صفحة خدودها «لم تمارسى تلك القبلات كثيرا؟ أم خائفة؟»

وهى تحول وجهها لتنظر ناحية البحيرة «لست خائفة» لكنها كانت خائفة، وغمرها إحساس لم تعرفه من قبل. وبلطف أدار وجهها ناحيته «أنت خائفة كما أقول، السؤال هو، مما تخافين؟ منى؟ أم من نفسك؟»

هزت رأسها «متباعدة عنه، وتدلى شعرها ليغطى وجهها، كما لو كانت تريد الاختباء فى ظلاله، وسألها «أم خائفة من كل شىء؟ أنت تفصحين يسيماك عن هذا، مما تهربين يا دارين؟ وما الذى تحاولين العثور عليه؟»

«أنا...» بدأت ولم تقدر أن تكمل جملتها، وشعرت فجأة

بالرغبة فى العودة للمنزل، لتنفرد بنفسها، لكنه سألها «أنت ماذا؟ أخبرينى، لأننى أشعر أن اجابتك مهمة»

«أنا.. أنا لا أريد التورط مع أى إنسان، ولا حتى استطيع ذلك، حسناً، إنه وقت خاطىء، ليس وقتاً ملائماً حتى لتكوين... عارضة.. لا أدرى ما هى الكلمة الملائمة».

قال بجفاء «الكلمة التى تبحثين عنها هى علاقة عابرة، تحاولين قول أنك لا تريدين تكوين علاقة عابرة، وأنا البائس، هل هناك شخصاً آخر؟».

فكرت بمرارة، شخصاً آخر، فكرت فى سوليفان وعيونه الناعسة الزرقاء، وقالت: «شخصاً آخر؟ لا» لكنها مخطوبة إلى سوليفان، أو على الأقل لم تفسخ خطوبتها رسمياً وصححت لنفسها «نعم.. حسنا.. ليس فعليا «ليس فعليا أقرب للواقع فلم يكن هناك أى شىء بينها وبين سوليفان من جانبيه، على أى حال، فلقد شعرت مرارا أنه وجد فاون أكثر جاذبية.

كرر دولونج «ليست فعليا؟ أخمن ذلك إجابة جيدة، طالما تركك تهربين منه، فهو فعليا غير لامع، ماذا إذن إنها أكبر من ذلك؛ أشعر بذلك»

«أتمنى إن تركتنى لشأنى»

«وهو كذلك، الآن ما الخطأ؟»

أمسكت خصلات شعرها بيدها وعكصته خلف عنقها، كل شىء سيكون مريحا وسهلا إن لم يكن منتبها متفحصا لها، بهذه الجاذبية واللطف «أنها.. معقدة جداً، أنا أحاول ترتيب أمورى، تحديدها.. أمى..»

توقفت عاجزة عن الإستمرار.

سألها بلطف: «أمك؟» ويده تمسك بذقنها وترفع وجهها

www.liilas.com

لتواجهه «أمي ماتت» وبدأت تبكي، وهي التي لم تبكي إبان مرضها ولا عندما ماتت أو بعد موتها؛ لكن في النهاية إجتاحتها تلك العاطفة الجامحة الحزينة.

«آسف» وطوقها بذراعيه، وتركته هذه المرة، وأستندت على صدره، وبكت وإحتضنها حتى فرغت من بكائها «آسف» كرر لها «لا أعرف، إستمري، يا دارين إبكي كما تشاءين، هو مفيد لك»

في النهاية تراجعت مبتعدة عنه، وهي مذهولة، وتركها وقدم لها منديلاً ورقيا «جففي دموعك وامسحي أنفك» ومبتسما متعاطف، وأطاعته بلا كلمات «هل حبستي كل تلك الدموع طويلاً»

أومأت وهي لا تزال تشعر بالخجل من نفسها «طويلاً؟»

«لا أدري» فعلا، ربما منذ مرض فاون؟ ربما كانت دموعها حبيسة مقلتيها طيلة عمرها وسألها «منذ متى توفيت أمك؟»

ارتجفت من صراحة السؤال وأكمل هو «آسف دارين، لكن أنا لا أؤمن بالعبارات المنمقة، لم أشأ قول «متى رحلت» أو «غابت عنا».

قالت بنعومة «ولا أنا أيضاً، لكنني لم أتحمل، هي.. منذ أسابيع قليلة، كنت أعرف من شهور أن هذا سيحدث لها لكن الصدمة... إذن، كما ترى... إنها»

ومرة ثانية عاندتها الكلمات وانقطع حبلها. وساعدها «وهكذا لا تريدين أن تكوني في أحضان رجل لسبب خاطيء، صحيح؟» عضت شفتها السفلى؛ يبدو ما قاله صحيحاً لكن جزئياً فقط، ولكنها وافقته «صحيح» أكد لها

«أفهم ذلك، ولا أريدك لنفسي في ظرف خاطيء» وضحك في سره، «أتمنى ألا أكون كذابا، ربما، ربما أحاول التظاهر بالنبالة والشرف، هذا قد يزعجك».

سألته: «لماذا؟»

رمقها بنظرة فاحصة «لأنني لم أحاول أبداً في حياتي التظاهر بالنبل، ولم أهتم أبدا بمغزى إستحواذي على إمرأة مهما طالت علاقتي بها، لكنك.. أريدك في ظرف ملائم ولسبب واضح وصحيح، من خلال رغبة وليس التسلية والراحة وأتعجب ماذا أفعل حيال ذلك»

همست: «لا يجب أن تفعل أي شيء»

عارضها: «نعم، سأفعل، عيونك غامضة وساحرة، لم أراك من قبل هنا ومع ذلك تنتمين لهذه البقعة، وأشعر وكأنك تعودين لمنزلك، أنت غامضة، وامرأة حلوة الطباع وجميلة جداً».

تطلعت نحوه، لم تصدق مديحه، وإندهشت لرؤيته الثاقبة واستيطانه لمشاعرها الداخلية، كيف تعرف عليها واستنبطها؟.

سألها: «ماذا عن ذلك الرجل؟»

أخفضت ناظريها، وأعمتها المفاجأة، أدركت أنها لم تفكر في سوليفان كرجل، ربما هو شاب جميل يخبل العقول، لكنه ليس رجلاً أبداً. لم ترد أن تجيبه، لكنه كرر سؤاله:

«ما مدى جدية الموضوع؟ هل ستتزوجينه؟»

هزت كتفيها «نحن.. مخطوبان» أو «ما شبه ذلك».

«ما شابه هذا؟ ما نوع الخطوبة التي ما شابه ذلك، أما زلتم مخطوبان؟ نوع من الارتباط؟»

أذهلها سؤاله، لقد تحدثت مع سوليفان بإختصار مرة واحدة

www.liilas.com

منذ وفاة أمها، إتصل بها مرتين، غاضبا من اسلوبها، عندئذ، هددها بتهديدات مبهمة وقال أنه سيحدثها عندما تستعيد أعصابها.

أجابت وهى تشعر بالنفاق «نوع من»

كرر وهو يكز أسنانه «نوع من، ارتباطك بالخطوبة نوع فى نوع؛ غير واضح، غير محدد غير حاسم، لو ارتبطت ذات مرة بإمرأة حاشا لله... فهى ستعرف ذلك!»

حاولت جاهدة أن تشرح له «أمى.. هى التى رتبت الخطوبة»

وهو يقول غير مصدقاً «ماذا؟ من تكونين أميرة، هم الذين يرتبون خطوبتك؟»

قالت: «أمى وليست أحد آخر، ولم يقدر أحد أن يقول لأمى «لا»»

«بما فيهم أنت»

«خصوصا أنا».

«هل كنت دائماً فتاة صغيرة طيبة تفعل ما يطلب منها تحديدا؟ مهما كان؟».

إعترفت «ربما كنت كذلك، هل هذا فظيع؟»

هز رأسه ثم إنتصب واقفا، وهو يضع يديه فوق خاصرتيه، محملقا فيها «نعم، كان يجب أن يقول أحد لها لا لمرة واحدة، أنت مثلا، كيف فى عصرنا هذا، وفى عمرك هذا، ترتبطن بشخص لا تحبينه؟»

شعرت بالذنب والحماقة، كيف توضح له؟ كان لدى أمها آلاف من الأسلحة العاطفية تجبر الآخرين على فعل ما تريد هى، ولقد ظنت هى أنها تحب سوليفان والآن بدأت تدرك كم

كانت ساذجة، وسألته: «من قال إننى لا أحبه؟» فوق كل شىء سوليفان هو الذى لم يهتم بها.

«أنت التى قلت أنك لا تحبينه»

أنكرت «لم أقل أبداً ذلك»

قال بهدوء «دارين، ليس كل شىء يقال بالكلمات»

لم تهتز نظراتها لكن قلبها كاد يقفز من ضلوعها، هى تعرف ما يعنيه.

«تعالى» وهو يمد يده لها سأوصلك للمنزل، يمكننا مشاهدة الغروب من شرفتك؛ ونتحدث، بالكلام أو بدونه، آسف إن أغضبتك، لم أقصد الإساءة لأمك، الموقف محير هى تذكرنى بنصيحة رجالية قديمة»

تجاهلت يده الممدودة ووقفت بنفسها على قدميها «أية نصيحة؟» وصوتها يرتعش.

أسقط يده بجانبه، وابتسم «نصيحة ممتازة: لا تأكل فى مكان تديره أم، ولا تلعب البوكر مع شخص يسمى دوق، ولا تنم أبداً مع إمرأة مشاكلها تفوق ما تعانيه أنت من مشاكل».

إضطربت أنفاسها وتراجعت للوراء وسألته «من قال أننى أريدك؟»

قال ببساطة «آه، لم تقوليها مع ذلك» وقبل أربتة أنفها «لكن الوقت لم يحن بعد، على الأقل، سيأتى الأوان»،

أظننا نعرف ذلك، يجب ألا تكذب، لقد عرفنا من أول لحظة «فتحت فمها وهى تحدق فيه بخليط من الإحساس بالمهانة والإستنكار «من أعماقى أقول...» لم تستطع إكمال جملتها.

«لا تقلقى، لو إنصلحت أمورك سأقول نعم عندما تشرين

www.liilas.com

لى ، لا تحيطى هكذا ؛ هيا ، ظلى معلقة هناك متحفظة »

دقت كعبيها « أنت تثير أعصابى »

« أن تشتاق لشخص وترغبه وتريد التوحد معه ، أليس هذا باعثا على الراحة ؟ لا أعتبره مهيجاً للأعصاب ، بل أمر طبيعى ، باعث ودافع صحى ، إيجابى ورغبة إنسانية »

« لو تظن أننى قد أرغبك يوماً .. بدأت وهزت رأسها مستنكرة ..

ابتسم « لكن سيحدث ، أنا أراك الآن فتاة لطيفة .. لا تجمحين غضباً ، وأنت أيضاً حلوة الطباع فى غضبك »

قالت : « أظن أن فريدا كانت على علاقة بك ، يبدو أنك تعرفها جيداً »

رفع حاجبه « أنت لماحة الذكاء ، سأكون نزيها ، لا ، كانت مستغرقة فى عملها ولا تدرى ماتفعل ، أعجبنا بعضنا ، ولم يكن بيننا شىء مشترك ، ولم أجرح شعورها »

فكرت هى ، لقد نام مع فريدا ، جرحتها الفكرة أكثر مما تصورت ، غضبت .

لقد تلاعب بها هذا الرجل الماكر ، وبمشاعرها أغراها فى البداية بمساعدته ، ثم جعل الرغبة تجتاحها ، ثم الخجل ، هو رجل خطير ، عندما وصلوا المنزل ؛ طلبت منه بأدب أن يرحل ، ابتسم لها وقالت أنها ستغير ملابسها ، ذهبت إلى غرفة نومها غاضبة وخلعت المايوه ، وارتدت بنطلونا وقميصاً ، مشطت شعرها ، وعندما خرجت وجدته جالساً فى الشرفة ، ناداها « تعالى ، إجلسى لدينا حديث يجب أن نكمله ، أو كما قال جون بول جونز « لم أبدأ القتال بعد » .

استندت إلى أحد أعمدة الشرفة « لا ، لن أسامحك على

ما قلته عند البحيرة ، ولست أريد القتال ، أريدك أن ترحل ، أريد الإنفراد بنفسى » .

هز كتفيه بإستهانة « لن أذهب مالم تجلسى معى لدقيقة ، بعدها أذهب ، بصدق ؟ »

قالت « لا » لكنها جلست بعيداً عنه قدر إمكانها ووضع يديه خلف رأسه وتنهد سعيدا « مشهد رائع هنا ، أفضل مشهد على قمة الجبل ، مكان مذهل لمشاهدة الغروب »

من منزلك ، كل ما قلته لم إلتفت إليه »

قال بارتياح « هراء ، بل أنا نزيه ، أتمنى مشاهدة الغروب هنا ، عموما أعتذر ، أعتذر عن كونى أراك جذابة وفاتنة ، وعن محاولتى الإيقاع بك بسبب براءتك ، خصوصاً أنها أحد الأشياء التى أحبها فيك ، لو كانت براءة حقيقية » .

رمقته متشككة ، استطرد « أووه ، ربما تكونين فاضلة وشريفة فعلا ، وتعيشين على المثل والمبادىء القديمة ، لذا ربما يستغرق الأمر كثيراً ، والآن لنتحدث عن بندقيتك » .

« لا »

نظر إليها ببرود « نعم »

« لا تشغل نفسك بالبندقية ، فهى لم تستخدم من أعوام ، ربما لم تستخدم أبداً » .

هز كتفيه « آه ، عظيم ، ربما تنفجر فى يدك ، أين تحفظينها ؟ »

« إنها بندقية أمى ، وهذا لا يعنيك ، كانت تحتفظ بها بجوارها ليلاً ، خشية اقتحام لص المنزل »

« هم .. يبدو أنها كانت صارمة هل كانت تستطيع استخدامها ؟ »

www.liilas.com

«قالت أن بإمكانها ذلك، وأظنها كانت تستطيع».

«ما نوع البندقية؟»

«آه، لا أدرى، هى بندقية، معظم أهل المدينة يملكون بنادق»

رد مستنكراً ومعظم يقتلون أنفسهم، أو يموتون ببنادقهم مصادفة، وفى الريف أيضاً هل هى مسدس؟ أتوماتيكى؟ أم ماذا؟»

«قلت لك لا أدرى»

«هل هى محشوة بالرصاص؟»

«نعم، دائماً كانت محشوة»

حدق فيها «تقصدين أنك لم تملأيها أبدا بالرصاص، ولا تعرفين ذلك بنفسك؟ وسافرت كل تلك الرحلة ببندقية محشوة؟ ربما هى غير مسجلة باسمك؟»

هربت من نظراته وتطلعت فى السماء التى إشتعلت بلون ذهبى ووردى لحظة الشفق «كنت مسافرة وحدى، لم أجرب هذا من قبل، خشيت وهى التى جعلتنى أشعر بالأمان».

بهدوء «دارين، أعرف أننى أحاول تسيير حياتك، لكن كلما سمعت عن تلك البندقية الملعونة، كلما شعرت بالخطر، إن لم تتخلص منها، على الأقل دعينى أفحصها، أفرغ رصاصها»

واجهته ثانية «لن أفعل، وأنت تريد إدارة حياتى والتحكم فيها، لقد حذرنى السيد ماكفى منك، قال أنكم بارونات أراضى وأنك شهوانى أيضاً»

غير مصدقا «هل ستصدقين كل مايقوله ماكفى؟ الرجل دائما يحشر أنفه فى كل شىء ويتظاهر بأنه قديس، دعيك منى، أنا لست قديساً».

قالت بجفاء «هذا واضح»

ضحك «تعرفين ما أعجبنى فيك؟ تحاولين التظاهر بكونك غاضبة ولا تستطيعين، أنت دائماً مش ملاك تجبر نفسها على التظاهر بكونها امرأة سليطة اللسان، أتمنى أن تكونى دائماً فتاة وديعة، وتظلى هكذا، مهما ضايقك»

وهى تسترجع محاولات أمها للسيطرة عليها قالت: «لقد وصلت روحى للحلقوم»

«والآن تهربين وتتظاهرين بكونك من راعيات البقر، بحذائك الطويل وبندقيتك، لا ألومك، لكن كفاية كفاية، أعطينى البندقية قبل أن تؤذيك».

«لا»

سألها «أتعرفين لماذا تفعلين هذا؟ عناد رخيص وساذج»

قالت وهى تشيح بيدها «ربما حان وقت أن أكون عنيدة» واسترجعت لنفسها لم تعد هناك الحاجة لمجرد الإستدراج لإلقاء أوامر وعبقرية إصدارها؛ مهما كانت فتنته وجاذبيته.

قال لها: «ربما حان الوقت لتتعلمى الفرق بين السيطرة ومحاولة المساعدة، هناك فرق أتعرفين؟»

«لا، نفس الشىء» إفعلى هذا، إفعلى ذلك، أنا هنا بمفردى لأننى أريد العزلة، ومعى بندقية لحمايتى»

«أظنك هنا لتحققى نوعا من الإستقلال وتتركين تلك البندقية رمزاً أو شيئاً من هذا القبيل، تحاولين الإستقلال عن من؟ ماذا كنت تعملين فى نيويورك ودفعك للإختفاء هنا عن العالم؟»

قالت بغموض «لا شىء، أنا.. أمى، نحن كنا نعمل فى صناعة الموضة، تعبت منها، إذن عندما ماتت، جئت هنا..

www.liilas.com

لأتخذ قراري ، لأفكر في أموري » .

« جميل ؛ لكن كوني متعقلة أنت هنا في قلب الدائرة وليس بعيداً عنها »

قالت في تأكيد « جئت هنا لأحيا حياتي الخاصة » وقالت في سرها ، ماذا يعنيه وما شأنه بحياتي ، هو متطفل ، ويحاول إستغلالها كالآخرين ، فلقد حدد عند البحيرة ما يريده منها ، يريد جسدها ، دون أي ارتباط يلزمه عاطفيا ، لكنها ليست من تلك النوعية الرديئة .

قال بأعلى صوته « دارين »

أجابته « لقد تحدثنا ؛ ولم نصل لشيء » قامت من فوق المقعد ، ورمقته بنظرة متجافية « أنا سأدخل الآن ، شكراً على مساعدتك ، وسأرسل لك شيئاً بالبريد » بدأت تخطو أمامه ، لكنه وقف وأمسك بها محملقاً في عيونها الصافية التي بلا أعماق « سأمشي لكن سأعود ، بسبب ، الرب يعلم السبب ، أشعر وكأنني مسئول عنك ، ربما تذكرينني قليلاً بأمي ، ساذجة ولا حول لها . ليس لديك أي فكرة سوى الهروب إلى هنا للإختلاء بنفسك والبندقية الخطيرة ، إحتفظي بها ، وإحتفظي بكل ما قلته لك في ذهنك .

قالت : « لن أفعل ذلك ، ولن أحفظ أي شيء عنك في ذهني « ربما هي ساذجة لكن ليس صحيحا أن لا حول لها ، سألها « ألن تفعلي ؟ لنرى هل ستحتفظي بهذا في عقلك » وجذبها ناحيته ، « هذه العيون العسلية دائماً تقول لا بينما الشفتان تقولان نعم ، يوما ما »

وأطبق فمه عليها في قبلة أذابت قلبها ثم قال : « شكراً على هذا ، سأراك غداً »

نظرت إليه وهو يركب الجرار ، مذهولة وناديته « لا تأتي ولا تعود هنا » .

لم يجبها بل إبتسم فقط ، وظلت هي مستيقظة معظم ليلتها تتدبر أمرها وما يجب أن تقوله له ، فهو لا يجب أن يسيطر على حياتها ، ولا أحداً آخر ، تلك الأيام الخوالي إنقضت ، وهو لن يستدرجها بالتأكيد للوقوع في علاقة عابرة !! حتى وان لم تستطع نسيان مذاق قبلاته ، كما لو كانت في إنتظاره طيلة عمرها .

أيقظتها الطيور والعصافير بشقشقتها في الصباح التالي ، لكن ما بعث داخلها الوعي الكامل سماعها صوت الجرار يقف أمام شرفتها ، وصوت رجالي يغني تحت نافذتها .

يا حبيبتي ..

لقد أخطأت نحوي

وتحمليني كل خطايا العالم

لأنني أحببتك هل هذا الحب

وسعدت بصحبتك .

جلست في سريرها ، فتحت النافذة ، وأطلت في الخارج غير مصدقة ، كان دولونج يقف تحت شجرة التوت ، يغني بكل قوته ، ناديته « ماذا تفعل ؟ إبعد هل أنت مجنون ؟ »

واصل غنائه : « إذهب ، إبعد ، هل هذا هو الحب الذي نعرفه » .

طوحت الملاءة وخرجت إلى الشرفة بملابس نومها ، حافية القدمين .

سألته : « ماذا تفعل هنا ؟ » غشيت شعاع الشمس بصرها ، ووضعت يديها حول خاصرتها وكان ليمبو في أثرها .

www.liilas.com

أجابها دولونج : «أغنى طالبا كرمك وأتمني أن تعيدنى لحمى رضاك »

« لماذا ؟ » .

« إذن يمكننا التفاهم ، ارتدى ملابسك ستتناولين الإفطار معى »

« لا أريد تناول الإفطار »

« قلت أن كل ما لديك نواشف وليوناده وأنت بحاجة للإفطار، تعالى ، أو سيبدأ غنائى ثانية ، واعترف أننى أتأذى من صوت غنائى »

« ألن تتوقف عن إقحام نفسك ؟ »

« منذ متى كانت الدعوة للإفطار إقحاماً ؟ »

سألته عاجزة « كيف أجعلك تبعد من هنا ؟ »

« بذهابك معى ، تعالى ، أقسم أنك لم تتناولى فى إفطارك البسكويت بالحساء ، طعام شهى رائع ، جئت مبكراً حتى أعود للعمل ، فأنا أعمل منذ الثالثة صباحاً ، إنه وقت الحصاد ، وأخذت راحة الآن ، يجب ألا تظلى غاضبة منى ، نحن جيران ، بعيداً عن هنا الجيران يعتمد كل منهم على نفسه ، أحضرت لك هدية »

« ما نوع الهدية ؟ »

فتح صندوقاً « كل شىء لإبنة المدينة حتى تألف الريف ، أولا ، شموع ومصابيح وبطارية ، عندما ينقطع النور»

قالت : «فعلا» وهز رأسه وأضاف «ثانيا ، مذياع صغير، يمكنك سماع تقارير الأرصاد إن لم يعجبك شىء آخر»

« لست واثقة أنى بحاجة لمذياع »

وفكرت فى سرها ولا سماع صوت سوليفان الذى يملأ الجو

بأغانيه .

كرر عليها « لن تستطيعى العيش هنا مثل الزهاد والصوفية والكهنة ، هنا الطقس متقلب جداً ، وستحتاجين له ، صدقينى » وهو يقلب فى الصندوق «ماذا بقى لدينا ، سكينة كشافة وكتاب عن الطيور أظنه سيعجبك وصواريخ نارية » .

وهى تحاول كتم ضحكها «صواريخ نارية ، لماذا بحق السماء ؟ »

« لو أردت إرعاب شخص وابعاده ، تشعليها ، تطلق انفجاراً لصوت البندقية مازلت مهموماً بتلك البندقية اللعينة ، قالت بحسم : « دولونج ، لا أريد التحدث عن البندقية ، لن نكف عن المناقشة »

« إذن ، إن لم تتحدثى ، ارتدى ملابسك لتتناول افطارنا ، الشهى اللذيذ » .

ذهبت معه ، بالطبع ، كان محقا البسكويت بالحساء كان مذهلاً ، سألته وهى تتطلع بعصبية حولها فى المقهى الصغير « ماذا يظن الناس ؟ ؛ لن يظنوا .. » وانقطع صوتها أكمل لها جملتها « أننا قضينا الليلة معاً ؟ لا لن يظنوا ذلك » .

« لماذا أنت واثق هكذا ؟ »

« لو كنا قضينا الليلة معا ، كان علينا أن نتخفى لا أن نعلن ذلك بإفطارنا معاً فى المدينة ، وكل واحد هنا يعرف أننى كنت معهم منذ ساعة ، ويعرفون أن الرجل الذى ينال شرف مصاحبة فتاة مثلك يكفيه هذا »

« من فضلك ، لا تكرر هذا ثانية ، لا أعرف فعلا كيف أتقبل هذا الوضع »

« ما أعجبنى فيك أنك لا تعرفين كيف تسوين الأمر،

www.liilas.com

حقاً، أظن أن فتاة مثلك تترك خلفها طابوا من القلوب المحطمة».

«ولا واحد»

«هى أمك ابعدتهم أمك ببندقية العائلة الشهيرة احتجت «لا داعى للسخافة، لم يبعدهم أحد»

لا أصدق هذا، لقد أمسكت بأحدهم لك» نظرت نحوه مستغربة، هل حاول سوليفان الإتصال بها؟ سألته «ماذا تقصد؟»

«أقصد وارين، أيا كان اتصل بمكتبى ثلاث مرات أمس، وليلة أمس مرة أخرى، كيف حصل على رقمى، لا أدرى، لقد حدثته مرة» وأخرج من جيبه ورقة مطوية تسلمتها وفضتها بعصبية لتقرأ:

«أوقفى تلك» العودة إلى الطبيعة «تعالى إلى نيويورك فوراً، فاون ليست معنا، نحن فى مشكلة، اتصلى فوراً»

ألقت بالورقة فى سلة المهملات قائلة له «شكراً، لكن لن أتصل به»

سألها «هل وارين خطيبك؟».

«لا، وارين، صديق العائلة، يدير الأموال لأمى، نوع ما»

«نوع ما؟ كلمة مصيرية مرة أخرى، مانوع إدارته لأموال أمك»

لم تجبه، صحيح وارن مسئول عن المال لكن فاون كانت مسئولة عن وارين قلباً وروحاً، إفترضت وارين وجود مصاعب مالية، ولم تفكر، عليها أن تحلها.

«لكن وارين ورائه سبب قوى ليتصل بك. هزت رأسها»

لديه أكثر من سبب ليتصل بى، ولا أريد الحديث معه»

«ولا أنا، لم تعجبنى طريقة حديثه»

«آسفة لإضطرارك لمحادثته، هوفظ».

«ليس فظا بل وقحاً» وأضاف «دارين، هل وارين هذا، يقول الحقيقة هل أنت فى مشكلة؟»

دون تيقن قالت: «لا، نعم، ربما، لا أدرى، لم أفهم أبداً كل هذا الأمر، لكننى قلت له سأرحل لمدة عام، ولن أعود قبل ذلك مهما حدث»

«من هى فاون؟» أجابته «أمى»

«ماذا كان يمكنها عمله لمواجهة تلك المشكلة؟»

«لا أدرى، ربما شىء خاص بالعمل كلما زاد تعقيده كلما زادت متعتها محتمل أن هناك تعقيدات وليست مشكلة».

«وماذا لو كانت هناك مشكلة؟» لم تجبه وهز هو رأسه «وارين لا يبدو أنه رجل أحق يادارين، لهذا جئت مبكراً، لأحدثك أظنك تعتبريننى عبثى مستهتر فيما يخص النساء، لكن لو كنت فى مشكلة فعلا، حسنا أنا هنا لمساعدتك، فعلا»

وضع أحدهم عجلة معدنية فى صندوق الموسيقى ودفع المفتاح، ارتعدت دارين كان صوت سوليفان ينطلق من السماعة وكانت أغنيته الجديدة «سأرعاها» وإدعت المجلات أنه كتبها خصيصاً لها، كان يغنى: هى طفلة، طفلة صغيرة عيونها لاتقل شيئاً، شفتاها تقول ربما.

من هى؟ حلم؟ أم حقيقة؟

بدأت يداها ترتعش، ملأها صوت سوليفان بالتوتر، فى النهاية قال دولونج «دارين ياحلوة لا أريد لك مشاكل يريد رجل مجنون معالجتها، وبدأت أشك أنك فى مشكلة، ويجب أن

www.liilas.com

تفعلى شيئاً بسرعة ، تعالى ، سأوصلك »

عرف أنها قررت ، وأدركت أنه عرف من هى ، لن تلومه ، فهى لا تريد مشاكل لآخرين « آسفة لإضطرارك للتعامل مع وارين ، لكننى بخير ، يجب ألا تواصل المرور على وتلقى مكالمات وارين » .

كان صوت سوليفان يملأ الخلفية :

هى لا تدرى طريقها
وضلت الطريق وفى إنتظار
العثور عليها .

وقف دولونج ، رمقها بنظرة إحتقار إلى صوت الجهاز الذى يطلق الأغانى .

فكرت وهى متجهمة ، لقد عرفها فعلاً وقالت له : « كنت لطيفاً معى جداً ، لكن لا تزعج نفسك بى بعد ذلك »

قال مختصرا « لست معك بسبب الطيبة ، بل لشىء آخر »

« ماذا ؟ ماذا غير ذلك ؟ »

هز رأسه « اللعنة لو أدرى ، ربما لنفس ربما أنت على صواب لأتركك بمفردك ، بدأت أدرك أنك فى مشاكل لا يسعفنى وقتى للتورط فيها ، تعالى ، هيا سأوصلك للمنزل ، أنا رجل عملى » .

فى طريقهما لم يتحدثا ، عندما هبطت من الجرار ، قال لها : « اتصلى بوارين »

« لا »

هز رأسه ثانية « أتمنى لو أعرف ماذا تريدين ، وأتعجب لو تدرين أنت ؟ »

وقاد الجرار بعيداً ، تاركاً إياها واقفة وحيدة حائرة .

الفصل الخامس

البحث عن الذات

وهى متعبة مثقلة الذهن قادت سيارتها عبر طرقات وشوارع أركاديا للتسوق ، هى بحاجة للمستائر ، مفروشات لسريرها ، وحاجيات ومستلزمات للمطبخ من بقالة وخلافه ، وطوق للكلب ليبورجر ، كان يومها بهيجاً وحاولت التمتع به ، لكن خاطرها كان مشتت وأعماقها غير صافية ، جراء تحولات دولونج وبتأثير رسالة وارين ، الذى يدق لها أجراس الخطر أعلى من كل ما سبق ، ماهى المشكلة فى نظره غير مشكلة نقود ، لكن أموالها فى مأمن ، موضوعة فى صك استثمارى مضمون حتى بلوغها الواحد والعشرين ويمكنها تحويلها لحسابها ، وآخر ما سمعته دارين أن أموالها تستثمر فى شركة مرتفعة العائد تسمى ساجى وهى تعلم أن سوليفان يستثمر أمواله أيضاً ، لكنها لا تدرى شيئاً عن إدارة شئون أعمالها ولم تبدو لها الأموال حقيقية الوجود .

رغم ارتباكها من رسالته ، إلا أن ما عكر صفوها هو تحول ريب دولونج ، بعد الإفطار أصبح جافاً ، كما لو تراجع منسحباً لمرتفعات جبل أوليمب ليقيم الموقف فى مجمله ووجده عبثا !!

فكرت بمرارة هو وضعها الحالى عبثى ، من حقه التشكك

منتديات ليلاس الثقافية
قمر الليل

فيها، إن كان قد عرف من هى، فهو سيعرف أنها لم تكن سوى خيال وحلم، مخلوق صنعه الصحفيون وفاون أمها، وهى تدرى أن الجمهور لا يلتفت لدور أمها فى خلق «شيفى» فهم ينظرون لها بكونها تلك الصغيرة النجمة اللامعة الساذجة التى تسيطر عليها أم صارمة، ومع ذلك فهى جميلة استحوذت على رجل متخم بأرصدته فى البنوك مثل سوليفان، فهو الرجل الوحيد التى سمحت لها فاون بلقائه والتواعد معه، وأمها أعجبها سوليفان لأنه مستغرق ومنغمس فى حب المال مثلها، وكان يقول لها دائماً: «فاونى أنت تعرفين الزوايا أكثر من مدرس الهندسة» لكن لماذا كانت أمها وهو يستمتعون باللعب فى تلك اللعبة، لعبة الزوايا، وتحطيم النظام؟ أحياناً لا تدرى لماذا؟ وكيف ظنت أنها أحبت سوليفان؟

بالمقارنة مع ريب دولونج، يبدو كل شىء فى سوليفان مصنوعا ومتكلفا، لكن ريب، يبدو أنه ليس مستعدا للتورط مع فتاة حياتها معقدة مثلها، ومع ذلك أكدت لنفسها أنه لو كان طيب القلب كان يجب ألا يظهر لهفته وتعجله لإستغلالها أو لا يحاول فعل ذلك، فهى جاءت الجبل بحثا عن ذاتها وليس للوقوع فى أسر رجل آخر!!

حتى لو كان قد إجتذبتها بعض ملامحه وطباعه بشكل غريزى، وهذا آلمها إن كان ذلك قاصراً على الرغبة فقط دون عاطفة، وبسبب ماضيه غير المشرف، وبسبب كل ما حاولت فاون أن تصنعه منها!!

كانت تقف عند مخرج السوبر ماركت وذهنها شاردا، عندما لاحظت المجلة على لوحة الصحافة وقرأت:

«سوليفان يتزوج شيفى أخيراً!!»

«إقرأ الصفحة الثامنة».

أغمضت عينيها غير مصدقة، لقد وعدها وارين ألا تنشر الصحافة شيئاً عن ذلك الزواج الغامض ــ من يظن نفسه؟ ومن يظن سوليفان نفسه؟

التقطت نسخة ووضعتها فوق مشترياتها عندما عادت إلى السيارة، فتحت الصحيفة على الصفحة الثامنة، غير واعية بأن الكلب يقبل عنقها من الخلف، شاهدت صور قديمة لها مع سوليفان «نجم الروك ونجمة الموضة والأزياء حدد موعد الزفاف!»

كان هذا العنوان الآخر تعجبت مستنكرة، ماذا حدث، ماذا يحاولون فعله؟

إرتعشت يدها وهى تقرأ القصة الصحفية:

«نجم الروك سوليفان جونز يخطو نحو أغنية جديدة ــ أغنية الزفاف ــ عندما يتبادل القسم والعهود مع حبيبة قلبه، ملكة عالم الموضة والأزياء وذات التسعة عشر عاماً.

قال سوليفان «كنا سننتظر حتى تبلغ شيفى الواحدة والعشرين، لكن الآن لقد رحلت أمها السيدة فاون، وشيفى بحاجة لمن يرعاها كنا معا بجوار سرير أمها، وكانت رغبة فاون أن نتزوج فى نهاية الشهر»

مدير أعمال شيفى وارين كروجر أكد الأخبار «هؤلاء الصغار فى علاقة حب منذ عامين، أمر طبيعى أن يتزوجا».

شيفى نجمة الأزياء وصاحبة الشفاه الشهية المثيرة طارت إلى باريس لتشترى أشياء الزفاف، ورغم غياب سوليفان عن جنازة الأم، ضحك من الشائعات التى إعتبرته مؤشراً على فسخ المخطوبة.

www.liilas.com

فسر سوليفان الأمر بقوله : « كان لدى موعد ارتباط للغناء في حفل جمع تبرعات خيرية ، وأخبرتنى شيفى ألا أترك الجمهور في انتظارها بسبب الجنازة ، فهى تفهم متطلبات عملى ، وهذا أول شيء أحببته فيها »

نجم الروك ذى الأربعة والعشرين عاما إمتنع عن إفشاء مكان الزفاف ، لكنه أكد بنهاية الشهر « أنا رومانى من الطراز القديم ، أريد زفافا هادئا ، قديما فى طرازه ، زفافاً رومانسياً »

صرح مصدر مسئول وثيق الصلة بالعروسين « شيفى لن تتزوك فقط أكثر نجوم الروك رشاقة وأناقة بل أكثرهم ثراء ولطفا ، سوليفان صنع ثروته من شركة الإسطوانات التى يمتلكها ومن إسطواناته أيضا شيفى ولدت فى فمها ملعقة ذهب فهى محظوظة ، دائما تحصل على كل شيء »

طوت الصحيفة والقت بها فى أرضية السيارة ، أسندت ذراعيها على عجلة القيادة ووجهها ، كانت رأسها تغلى وشعرت بالغثيان ، شعرت بالخيانة .

فكرت أنها مجرد أكاذيب من تلك الأكاذيب الروتينية ، إعتادت قرأتها فى الصحافة ، لكن هذه أكاذيب جديدة ، ماذا يفعل سوليفان ؟ لماذا يساعده وارين ؟ لماذا الا يريدان تركها لحالها ، كان رأسها يغلى ، بعد دقيقة هبطت من السيارة وأتجهت إلى التليفون ، كانت يدها ترتعش ، طلبت رقم وارين ، سألته « ماهذا ؟ قرأت نسخة مجلة « العالم يوم الأحد » وتدعى قرب زفافى إلى سوليفان ؛ ماهذا ياوراين ؟ »

« الصحفية تقول أنك ستتزوجى سوليفان لأنك فعلا ستتزوجينه ؛ عودى إلى نيويورك الأن ، لا تسألى أسئلة ، لا تناقشيننى فقط عودى ، ألا تعرفين كم تحايلت كى أعيدك ؟

لقد توصلت لمكانك من خلال فاتورة مكالماتك الهاتفية لذلك الرجل وكيل المزرعة ، ماكفى ، أخبرته من تكونين فعلا ، ونحن نبحث عنك »

انقبضت فإن كان أوليفر ماكفى عرف من هى ، على الفور سيعرف كل العالم من تكون هى « وارين لن أعود ، وأريد أن تستنكر وتكذب تلك القصة الصحفية ، ليس من حقك . التصريح بتلك الأقوال ، ولا من حق سوليفان كذبها ، أو سأتصل أنا بالصحافة بنفس اخبرهم أنها مجرد كومة أكاذيب من البداية للنهاية » .

هددها وارين « إفعليها وستندمى حتى مماتك ؛ لقد فعلنا مانبغى أن تفعله هذا أمر جاد ، توقفى عند تمثيل دور الطفلة والا ستدمين حياة المجتمع ، عا فيهم حياتى ، وحياة سوليفان ، عودى ، أنت لا تدرين ماذا فى إنتظارك »

أخذت نفساً عميقاً ، محاولة الحفاظ على هدوئها « وهو كذلك ، ماذا فى إنتظارى ؟ »

« شيئاً هام جداً لا يقال فى التليفون أو يرسل بالبريد ، يجب أن تقبلى قدمى ، وقدم سوليفان أيضاً ، فلقد طفح الكيل ، لكننا نحاول رعايتك » .

« دائماً تبالغ وتحب المبالغة ياوارين ، أريد تكذيب المنشور فى الصحيفة ، أريده فوراً . ولا مزيد من الكذب ! »

« هل تعرفين المأساة التى صنعتها أمك تلك الشرسة ؟ لقد خرجت من قبرها لتدمرنى ! كان يجب أن أعرف أن مصاصى الدماء لا يموتون أبداً » .

كانت صدمة هائلة لها ، وارين لم يكن ليجرؤ على الحديث عن أمها هكذا .

www.liilas.com

«لا تنطق باسم أمي يا وارين، دائماً كنت تفعل ما تأمرك به، لا تلومها ولا تجرؤ أبداً»

«يمكنني أن أناديها بأسوأ الأسماء التي أريدها، أيتها الحمقاء الصغيرة، هل تظنين أنك كبرت بقدر يسمح لك بمواجهة الواقع؟

حسنا، واجهي الحقيقة، هي لم تكن لتقنع أبداً إلا بالحصول على كل شيء، ظنت أنها أذكى من في العالم، لكن هذه المرة تمادت بعيداً، لم تكن أكثر من..»

بدأ يتمدم بحماقة لكنها أغلقت الخط، وقفت تحدق في التليفون، أنفاسها لاهثة، إتجهت إلى المنزل يجتاحها الغضب وخيبة الأمل، لا تدري لماذا بدأ وارين يتطاول عليها، وتتساءل ماذا فعلت أمها، ابتسمت بعصبية، ربما كانت أمها تعبر بعض الصفقات المعقدة التي لم يفهمها وارين، لكن ماذا بشأن سوليفان، لم تستطع أن تخمن، أقسمت لنفسها أن تكون حاسمة، وألا تتراجع، ولن تتزوج سوليفان أبداً، ربما ستجد رجلاً مثل ريب دولونج مثله تماماً، باستثناء قدرته على الوقوع في شباك الحب.

حاولت تناسي كل شيء وإنغمست في أعمال منزلية، ثم جلست في الشرفة لتشاهد شمس الأصيل ومشهد الغروب، ليمبو في حجرها قررت أن تقرأ بعد العشاء، فهي لم تقرأ من قبل ونقد أحضرت مجموعة كتب معها من نيويورك، تمنت أن تقدر على التركيز، عندما رأت جرار دولونج قادما كانت مرتبكة، قفز ليمبو وهز ذيله، لم يتبسم دولونج، كان تعيساً، كما كان عندما تركها في الصباح، نزل من فوق الجرار ونظر إليها «أيمكنني مشاهدة الغروب معك؟»

«أظن ذلك».

بدا وكأنه متعب من يوم عمل طويل، صعد السلم وجلس بجوارها، وأخرج من جيبه ورقة سلمها لها «صديقك وارين، إتصل بالمصنع ساعة وراء الأخرى، منذ الضحى وحتى الآن، بدأت أفهم لماذا لا تريدين تليفون»

نظرت في الرسالة، كانت تقول:

«عودي فوراً، أمر طارىء وعاجل، مشكلة ضخمة، وارين»

قالت: «مؤكد سكرتيرتك ستكرهني» واعتراها الخجل بسبب متاعبها، وأزعجها تغيير طبعه، كان مرحا، لكن الآن تلحظ التجهم والتوتر يملأه.

وهو مقطبا جبينه قال: «أخبرتها ألا تتلقى أي رسائل أخرى منه»

«شكراً».

هز رأسه «لكن هذا لا يفيد يا دارين، سيبحث عن شخص آخر ليتصل به»

كزت أسنانها «أظن يجب أن أحصل على تليفون».

«أظن ذلك، سأتصل بشركة التليفونات غداً، لكن سيحتاجون لوقت حتى يركبون لك تليفون، نحن نبعد أربعين ميلاً عن المكتب الرئيسي، أنت طفلة حقيقية في غابة أتعرفين ذلك».

قالت بإصرار: «يمكنني الإهتمام بأموري».

قال متهكما: «آه، تحسنين القيام بذلك، لكن ينقصك تعلم ذلك، لكن يبدو أنك تتعلمين بالطريق الشاق فقط».

«ماذا تعني؟»

www.liilas.com

«أقصد عندما أحضرت لك تلك الأشياء كان يجب أن أضع معها بعض الحقيقة، أنت بحاجة للحقيقة، يبدوأن حياتك تفتقر لها».

أخرج من جيبه نسخة مطوية من صحيفة «العالم يوم الأحد» وفتحها فوق حجره «ها هى أنت، الفتاة فى الصفحة الثامنة»

غاص قلبها فى قاعها، شعرت بالغثيان لقد عرف، سيتغير كل شىء.

«نعم هى أنا».

فجأة عجزت عن النظر فى الصحيفة، ألقت بها على أرضية الشرفة وكأنها شىء سام لكنه إلتقطها وطواها وسألها «ماذا بعد؟»

قالت فى النهاية «لا شىء مجرد أكاذيب، لا أدرى ماذا يفعلون، لكنها أكاذيب، كلها، لقد فوجئت بأنك تقرأ تلك الصحيفة الصفراء»

«أنا لا أقرأها، لكن مديرة منزلى تقرأها وتركتها مفتوحة فى المطبخ، فى لحظة أدركت الصورة ــ رغم كل تلك المساحيق على وجهك، لا فرق، فى الإفطار عرفت أن وجهك مألوفا، عندما إرتعدت فى مقعدك عندما أنطلق صوت نباح ذلك المغنى، شككت فى شىء، جعلنى أشعر بالغثيان، والآن»

ومد يده بالصحيفة. وسألها «هل هذا هو وراين الذى نشروا كلامه بأنك فى باريس، هل الذى يتصل بك هنا؟»

أومأت برأسها.

«وسوليفان جونز ــ الخطيب المحظوظ ــ هل ستتزوجان فعلاً؟ فى نهاية الشهر؟»

قالت بنعومة: «لا، أبداً، الخطوبة كانت دعاية أمى كانت معجبة به، وهو معجب بها، وأقنعته أننا نكون معاً ثنائى يحقق دعاية ضخمة وشهرة وهو إقتنع بذلك»

غير مصدقاً «وأنت أيضاً إقتنعت؟ هذه استخفاف لطيف من فتاة فى مثل عمرك»

«آه، لقد كنت متعلقة به، كنت فى السابعة عشر فقط، لم تتركنى أمى أبداً لأقابل أحداً قبله، كنت منبهرة به وقتها، لا يهمك ماكنت أظنه»

قال بغضب: «أظنه يشبه فتاة ويغنى مثل صوت الخراف، إذن ماذا حدث يا دارين؟ كيف قالوا أنك فى باريس؟ وأنت ستتزوجيه خلال شهر؟»

هزت رأسها حزنا «لا أدرى، ولا أفهم ولا أعرف حتى أننى أريد التفكير فى هذا»

وضع يده على ذراعها، «أظن الأفضل أن تفكرى يا حلوة، ربما أنت فتاة صغيرة فى قلب دوامة، لو كنت تقولين الحقيقة»

أبعدت وجهها عنه «أنا قلت الحقيقة جئت هنا للابتعاد عنهم، لا أدرى ماذا يفعلون، ولا يهمنى»

جذب ذراعها لتواجهه «ربما الأفضل أن تهتمى، قلت أن وارين مديرك المالى، هل هذا له علاقة بالمال؟ أظن أن المال هو السبب فى الحقيقة»

أبعدت وجهها عنه «أظننى سأفعل، فهل سيتغير الوضع».

سألها: «ماذا تقصدين، بهل سيتغير الوضع؟»

كانت تريد أن تسأله «هل كونى ثرية يغير الأمر لديك؟» لكنها لم تستطع.

www.liilas.com

وقالت بدلا من ذلك : « الأموال فى أمان ، على الأقل يجب أن تكون كذلك ، هو موقوفة باسمى ، وهى تستثمر لصالحى »

« آه ، يا إلهى ، لست أسعى خلفك لأجل مالك إن كان هذا ما تظنيه ، وليس لأنك مشهورة لو أردت امرأة ثرية ، كنت وجدتها منذ عشر سنوات ، وأنا لا أريد امرأة مشهورة ، لا أريد أن يشاركنى أحد فى امرأتى ، خصوصاً ذلك الجمهور اللعين »

قالت بإحباط « آه ! لست نجمة اغراء ولست امرأتك ! كيف تقول شيئاً كهذا ؟ »

وهو يشدد قبضته على ذراعها « لأن ، لأننى أريدك أن تكونى .. قبل اكتشافى كل ذلك ، ولم أكذب عليك أبداً ، كنت صريحاً ، وأريدك أن تكونى صريحة معى »

إحتجت بقولها : « أنا صريحة ، حاولت دائماً أن أكون صريحة ونزيهة » .

« إذن ورطى نفسك فى خطبة غير شريفة وتجلسين وتتركين ذلك المغنى يلوثك ، يجب أن تتخذى موقفا يا دارين وإلا ستغطى الأكاذيب رأسك وتغرقين فيها »

وأضاف وهو يسند رأسه إلى يديه « طبعا ، ربما يعجبك الخداع والتحايل مثل كل النساء » .

قالت : « إسمى دارين ، طلبت منه تكذيب القصة »

« ها . ها ، لكنك لم تقولى له إن الخطوبة فسخت ، هل قلت ؟ »

« حسنا ، ولا أنت تقدر على فعل شىء كهذا ، هناك أطراف أخرى ، عمل سوليفان ، وصورته الدعائية ، وكل الذين حوله » .

« آه ؟ أظنك لم تتورطى عندما قال للعالم أنه سيتزوجك ، أنه لأمر بسيط أن تقولى الحقيقة مرة وتفسخين تلك الخطوبة ، مالم طبعا ، كنت لا ترغبين فى فسخها »

بإصرار « أريد فسخها ، إن كنت تفسخ شيئاً غير موجود » .

« إذن إفسخيها »

« ماذا ؟ »

« قلت إفسخى الخطوبة ، إتصلى بالصحافة قولى لهم الحقيقة — أنك لن تتزوجى ذلك السوليفان ، أبداً » .

هى لا تقدر على ذلك ، ألا يستطيع التعاطف معها ؟ وهمست « ليس سهلا » قلت لك هناك اناس حولى يهمهم الأمر ، وهذا قرارى وليس أمرك »

« لك طريقة غريبة فى تأكيد استقلالينك تجلسين مستريحة بينما ينشر الآخرون الأكاذيب حولك » .

« أنا لست مستلقية ، أنت لا تعرف عما تتحدث شيئاً ، لا تعرف شيئاً عن العالم ، ليس لديك أدنى فكرة ، ولا تستطيع معرفة تعقيدات المسألة »

ندمت على كلماتها فهى تعنى أن حياتها معقدة كونية .

وهو يقف « عفوا ، أنا رجل من مراعى الريف ، وأعرف أننى رجل ثقيل الظل ، وأعرف شيئين ، الأول أننى لا أحب الكذب ، لأى سبب ، الثانى ، إن كان لك مشكلة مع وارين هذا ، الأفضل أن تحل ولا تحاولى تجاهلها حتى تستفحل ، هذا لصالحك »

سألته : « لماذا دائماً يقول لى الناس ما يجب أن أفعله لصالحى ؟ »

أجابها ببرود : « ربما لأنك بحاجة لمن يخبرك »

www.liilas.com

قالت بمرارة : « إذن أليس كل شخص له عقل يفكر به »

سألها : « أو أليس ذلك من وسائل الدعاية ، شيفى الغامضة إختفت ، ربما يكون هذا ما ... ت الإسبوع القادم ، أظن أن ذلك دائماً مفيد للدعاية »

« أكره الماشيتات ، اكره حياتى هناك كانت سيرك ، خشبة مسرح ، لا شيء سوى مظاهر خادعة » وإمتلأت عيونها بالدموع .

« أو ربما ، أنك تشبهين أمك أكثر مما تظنين ، ربما وضعت سوليفان وواربن حيث تريدين ـ يستعطفون رجوعك ، دعوتك للطبيعة هنا دوراً تمثيليا رائعاً منك ، وتتسلين برجال الريف حتى يفعل أبناء المدينة ما تريديه بالفعل ، أليس كذلك »

وقفت لتواجهه ، سعيدة لأن عتمة المساء أخفت الألم الذى لف وجهها « هذه وقاحة ، ربما يجب أن تكتب لتلك الصحيفة ، فأنت صاحب خيال مريض قبيح ، ولا تنتقد أمى ، أنت لا تعرفها ، الجميع ينتقدها ، هى فعلت ما كان يجب أن تفعله ، جئنا إلى نيويورك بدون أى شيء سوى أسمائنا .. »

قاطعها : « وحققت كل شيء فيما عدا أسمك الذى ضاع لينادوك بـ شيفى »

« إنه إسم شهرة ، إسمى فى عالم الموضة دارين كلارك ، وأنا أكره إسم شيفى السخيف ، وأريدك أن تخرج لا شأن لك بكل ذلك »

« آسف ، لكن لى شأن بكل هذا ، قلت أنك جئت هنا للابتعاد عن كل شيء هناك ، أريد أن أصدقك ، وإن كنت تريدين فعلا التخلص منهم ، فلقد وجدت طريقة ممتعة »

« ماذا يعنى هذا ؟ »

« يعنى إن كنت لا تريدين عالمهم الخادع إذن لا تلعبى ألعابهم الخادعة ، ولا تلعبى معى »

« أنا لا ألعب معك » وابتعدت عنه وسار خلفها وقال لها :

« أنت لم تخبرينى من تكونين فعلا » .

« لم تسألنى ؛ ولم أكن أظن أن هذا سيحدث ، كنت أريد أن أعامل كشخص عادى »

« أنت تتصرفين مثل معظم العاديين ، فتاة لا يسهل إيقاعها ، تتصرفين كما تعلمت فى عالمك ، وكأنك من هنا ، لكن ربما طفلة مدللة ـ كيف أعرف ؟

قلت أنك تريدين رعاية أمورك ، ولكنك تجلسين وتتركين الآخرين يتحكمون فى حياتك على بعد أميال كثيرة ، ربما وصلت للمدى الذى تعودت على ذلك وألفتيه » .

أسندت رأسها لعمود الشرفة ، « وأنت لم تخبرنى من أنت أول مرة ، لماذا لا أفعل مثلك ؟ »

« الموقف لا يصلح للمقارنة ، لم أعرف أنك مشهورة ، وغارقة فى المشاكل »

« ماذا يهمك ؟ أنت لا تريد توريط نفسك ، قلت ذلك بلسانك »

« قلت أننى لست من النوع الذى يحبذ الزواج ـ بخلاف صديقك الأشقر ، ولا أريد لامرأة أن تشاركنى حياتى التى التهمت عمرى ، حياتى لا تتحملها امرأة »

بمرارة « إذن تريد فقط المشاركة بالنصيحة وتشاركك السرير »

بتحدى « ما العيب فى ذلك ؟ النصيحة مفيدة والسرير دافيء ، والأشياء ستكون مفيدة لنا ، هناك إنجذاب بيننا ، منذ

www.liilas.com

البداية حتى قبل أن نتعارف ، ألا تتكرين هذا »

نظرت نحوه ، وأومأ بسعادة « أتريدين الحقيقة ؟ أم التظاهر والخداع ؟ »

تمرد قلبها وكاد يقفز من ضلوعها وهتت أنفاسها ، واستطرد « ما الحقيقة ؟ أليست هى دائماً الأمان ، أحياناً إنتهاز الفرص ، بدون ضمان ، بدون وعود مجرد فرص عابرة ، مثل هذا »

إنحنى ليقبلها ، قبلة طويلة محمومة .

تذوقت طعم قبلاته لمساته أنفاسه التى تسكرها والتى تطهرها من تلك الشهرة الزائفة ، لكن هنا فى احضان الطبيعة البكر تكتشف فى أعماقها طهر ومعنى للحب يحلق فى السماء ويحتضن نجومها وليس ذلك النوع من الحب الذى أفسدته المدينة بخداعها وماديتها .

وهو يودعها قال « أراك غداً يا جارتى العزيزة ، عندما تكونى بالشجاعة الكافية لإنتهاز الفرصة ، سأعرف ، لكننى أظنك لن تكونى »

تابعته بناظريها ، وتساءلت هل صدق كلامها ، هى ليست واثقة لكنه بقبلاته أظهر لها إهتمامه بها ، أم أنه فقط يريدها ، يرغبها بدون وعود ، لمجرد اللذة والمتعة ؟ ؟ ! !

الفصل السادس

دائرة الحب والشهرة

أشرقت شمس اليوم التالى ولم تنقشع سحب اليأس والإحباط عن ذهنها وظلت سادرة فى ليلها الكئيب ، وكانت تنظف خلفية الدخان عندما إكتشفت وجود مظروف غامض عثرت عليه ، بلا طابع بريد أو عنوان ، دفعها الفضول لفتحه كان به ورقتان نظيفتان مكتوبة بالآلة الكاتبة وكان مذيلا بتوقيع فريدا ، ربما تجاهلته بعد كتابته ، ونسيته ، كان دارين تعلم أن قراءتها له خطأ ، لكنه عجزت عن مقاومة فضولها الغريزى ، لكن فى النهاية تمنت ان لم تكن قد قرأته أصلاً .

كان الخطاب هكذا :

« آسفة لانقطاع الخطابات بيننا طويلا ، لكننى مشغولة بكتابة الرسالة للدكتوراه ، وأنجزت معظمها بسرعة ، تيمى أحب الريف هنا وشعر بالتحسن ، لكننى متشوقة لحياة المدينة إفتقدت الأضواء اللامعة ، الزحام !! والتسوق !! هذا مكان عظيم للعمل ، لكننى لا استطيع العيش هنا أبدا . هنا مناظر طبيعية رائعة !

لا ، لا ، لا ، هذا « الرجل الجديد » لاتذكريه لأمى

منتديات ليلة القدر

ـ تحت أى ظروف . لاشىء جاد بيننا . لكن أحياناً أنظر إليه وأتعجب ، كيف أصبحت محظوظة هكذا ؟ ريب دولونج هو حظى يا تينا ، رجل كامل : صريح ونزيه ، مظهره جذاب ، ذكى ، مضحك وساخر ، طيب ، لن تصدقيننى . هل نسيت جسده القوى ؟ كما قلت يملك كل شىء !!

ما يفتقر إليه (ولا التفت لهذه الزاوية) هو الالتفات لعلاقة أو ارتباط طويل الأمد ، هو يرفض تلك النوعية من العلاقة ، هو يسأم كل شىء ، فلقد أدى زواج أبويه إلى غرس الحذر والريبة فى نفسه ، هو مجنون وفكره مركز على أمر واحد هو تطوير مصنعه للخمور ، ويؤمن بالميل والإنجذاب العاطفى ، لكنه لا يؤمن بالوقوع فى الحب ، لكن بحق السماء كان رائعاً معى ، ومع تيمى أيضاً .

إن كنت صريحة مع نفسى ، أعرف أننى لم انسى موت روبرت ولا تيمى أيضاً ، خلال عامين أغرقت نفسى فى العمل ، والآن ، بفضل ريب ، أظننى عرفت الحياة مرة أخرى ، لقد حدثت علاقتنا ذات يوم ، كان ممتازاً معى ، ومع تينا ، لكن أمى ، أكرر يجب ألا تفهم لأننا لن تغفر لى تلك العلاقة العابرة ، السعيدة التى ربطت بيننا ، لن تقولى لها ، وأنا ممتنة لك حبى وقبلاتى ،،،،،

فريدا

شعرت دارين بدموع الغيرة والتعاسة تملأ عينيها وتهطل بغزارة ، حسدت فريدا على علاقتها الحميمة مع ريب ، وحسدت المرأة على نضج تفكيرها ، واستعدادها للتعامل مع الأمور كما هى ، وحرجتها كلمات مديحها لريب دولونج فريدا على حق ،

هو يتصف بكل ذلك ـ الصراحة ، الذكاء ، العزيمة ، الطيبة ، لكنه ليس من النوع الذى يؤمن بالزواج ، وفريدا تقبلت ذلك ، فلسفيا ، حتى بفرح . لكن دارين لا تستطيع تقبله ، وهذا يشعرها بالضآلة والصغر ، والحماقة ، وعدم الشعور بالأمان .

ما تعلمته من خطاب فريدا جعل تواصلها مع ريب صعبا ، كل يوم يتصل بها مرتين ، يأتى فى الصباح يستريح من الحصاد الشاق ، وليطمئن عليها إن كانت تحتاج شيئاً . ويأتى بعد نهاية العمل ، عند الغروب دائماً ، يتصرف كجار حميم ، ويظهر إهتمامه بها ، لكنه لم يتخذ أى خطوة للإقتراب منها ، وتعجبت هل أقلع عن الإعجاب بها بعد أن عرف من هى .

كانت مناقشاتهم جادة دائماً ، سألها إن كانت إتصلت بوارين ، أجابته بأن وارين سيتصرف بنفسه ، سألها إن كانت مصرة على الخطوبة وقالت ليس فعلياً .

فى يوم الأربعاء أغضبها بغنائه أغنية سوليفان :

« هى لا تعرف طريقها

« هى ضلت الطريق

وفى انتظار من يجدها

أكدت له « أتمنى ألا تغنى هذه الأغنية ، أنا أكرهها »

سألها « حقاً ؟ أنا أحبها ، الولد موهوب يفهم حقيقتك ، ربما يجب أن تتزوجيه ، أظنك من النوع الذى يعشق الزواج ، هذا سبب تخوفك منى »

سألته : « أتغير الموضوع ؟ »

ببساطة : « وهو كذلك ، استمع إلى الراديو؟ يبدو أن العواصف ستهب فى نهاية الأسبوع »

« أنا أكره الراديو ، كنت أنظف المطبخ كان يومى مشغولا ،

www.liilas.com

وأخذ ليمبو حماما »

« أنت تفسدينه ، لا أظنه سيكون كلبا أليفاً ، والبراغيث لن تؤذيه »

حاولت تجاهل نظراته ، لكنه حدق فيها « لا أدرى لماذا أنت خائفة من البراغيث أنت أمامك مشكلة أكبر ، أم أنك ستجلسين هنا فى إنتظار إنتهاء كل المشاكل ؟ هل تفكرين فى الإختباء كثيراً ــ آف ــ وستنهى المشاكل ؟ »

سألته بنفاذ صبر « هل إنتهت الموعظة ؟ »

« نعم الآن فقط »

إلتقت عيونهما وتشابكت بلا فكاك ، وشعرت دارين بثباتها وتغير مزاجها ، لكن التوتر مازال يخيم بظله ، الآن هنالك شىء يربطهما رغما عنهما ، كما لو كان بينهما سر غامض ، وهو ينظر من نافذة الشرفة قال لها : « الأفضل أن تجعلى حياتك هادئة يا صغيرة »

جرحتها كلمة صغيرة « أنت تحب السيطرة أنت مخبول »

مقطبا جبينه « يعجبك ، لدى إحساس أنك طيلة عمرك فى إنتظار شخص يثير فيك الحنون بطريقة صحيحة ، طبعاً » .

ثم تركها وحدها تعانى العزلة ، متساءلة إن كان على صواب بشأن وارين وسوليفان . هى تعلم إنه لن يخطو خطوة واحدة إليها إلا بعد أن تنتهى من فسخ خطوبتها لسوليفان ، ثم يعيد حديثه عن العلاقة العيشية مرة أخرى .

أرعبتها الفكرة ، وجعلتها مترددة فى إتخاذ أى قرار ، تمنت أن يكون قد أخذ وارين تهديدها بجدية وكذب الصحيفة ، هذا على الأقل ، سيتيح لها وقتاً للتفكير لإراحة مشاعرها .

لجأ وارين إلى التلغرافات الآن ، على الأقل أرسل اثنين فى

يوم واحد ، بعد ثلاثة أيام ، رفضت قراءة تلغرافاته ، وتركتهم دون أن تفتحهم ، كانت رسالته واحدة دائماً « عودى إلى شجرة التفاح الكبيرة قبل أن أجىء وانتزعك ، لقد سأم سوليفان هذا التهرب ، وأنا أيضاً ، عودى أو استعدى للبقاء فوق الجبل للأبد » .

الحسنة الوحيدة أنه تعرفت على ساعى البريد الذى سلمها البرقيات ، إسمه بيللى بوب فرايبل ، كان نحيفاً ، حلو الطباع ، قال لها وهو يسلمها الخامسة : « يبدو أنه معجب ولهان » .

وهى توقع للإستلام : « ليس معجبا ، فى الواقع العكس » .

سألها : « ألست عارضة الأزياء الشهيرة ؟ البعض يعرفونك ، أرجو ألا يزعجك سؤالى » .

تلاشت ابتسامتها هزت رأسها ، أوليفر ماكفى نشر الشائعات .

قال لها « لست المشهورة الوحيدة التى جاءت هنا ، لدينا كاتب مشهور جاء ذات مرة وشاعر ، والنائب العام الأمريكى ، يجيئون كل شتاء لصيد البط ، ونجم فريق ديترويت للبيسبول يقيم هنا ، لكن المشاهير يجيئون هنا للخلوة ولن نزعجكم ، المشاهير هم المشاهير » .

قالت بإمتنان : « الناس هنا طيبون ودودن »

واصل بيللى حديثه « لديك جار لطيف ، ريب ، هو جار طيب مستعد للعون إن سئل ، هناك تشهير به ، لا تصدقى كل تلك الشائعات عنه ، هو رجل بنى مصنعه للخمور ، وكون ثروة بعرقه »

أجابته : « يبدو أنه يعمل بجد »

رد عليها « كانوا يقولون عنه أنه مدلل ، لكن بعد وفاة أبيه ،

www.liilas.com

وتدهور المصنع والمزرعة، أنقذ ريب كل شيء وأكد للناس مايمكنه عمله، هو أفضل أشقائه الثلاثة»

«أنا واثقة، آه، أنت معجب جدا به»

«مع ذلك ربما يقول البعض عكس ذلك عنه، لأنه غير متزوج، حسنا، أنا غير متزوج، لست ممن يحبون الزواج، بعضنا ولد ليكونوا أحرار، ولا خطأ فى ذلك».

حياها وخرج ليركب سيارة البريد

فى يوم الجمعة حضر وكيل المزرعة أوليفر ماكفى، كان يركب سيارته دودج سوداء قديمة تجلس بجواره إمرأة نحيفة، هبط من السيارة أوما لدارين، ثم دار حول السيارة ليفتح الباب للسيدة العجوز، وقدمها لدارين «هذه هى السيدة بيللى، مالكة المزرعة والمنزل جئنا لنلقى نظرة لنرى كيف تحافظين عليها»

كانت السيدة أطول من ماكفى مرتديه فستان قديم الطراز، وحذاء أسود، وقبعة سوداء، وبدأ الكلب ينبح، حدقت المالكة فى الكلب «أرجو ألا تتركى هذا الكلب فى منزلى، الكلاب تفسد السجاد، وأنا فرشت تلك السجادة منذ اثنى عشر عاماً فقط !!»

وأجابت دارين بعصبية «هو كلب نظيف جدا» نبحت السيدة بيللى «السجادة كانت نظيفة عندما فرشتها فى الغرفة منذ عشر سنوات، وهى من نوع ممتاز، ولا أريد أن تفسدها الكلاب»

قال ماكفى مؤيدا لها «لم أعرف أنها تريد كلب حراسة، ربما نطلب منك أن تتركى ضمان مالى، أو تتخلصى من الكلب».

«سأدفع الضمان المالى بكل سرور»

سندخل وفتح الباب للمالكة «لنرى كيف يبدو الأثاث». ودخلا الإثنان وتبعتهما دارين ومازال الكلب بين ذراعيها، صرخت السيدة «لقد طلت الجدران، الطلاء مألوف، أنه من مخزنى أعرفه، لقد أعطاه لى إبن أخى إيلمو، كنت قد وفرته»

سألها ماكفى «هل إستخدمت الطلاء بدون إذن؟»

«قلت لى إن من حقى إستخدام أى شيء فى المخزن، وكانت الجدران بحاجة للطلاء» قالت المالكة «ادفعى ٧٥ دولار أخرى مقابل الطلاء، ولقد إستخدمت مقعدى المفضل، نعم».

تجولا فى المنزل بعناية، حتى العيادة الصغيرة فتحت، ودولاب المطبخ، وقالت السيدة لها: «أنت نظيفة ومرتبة جداً أكثر مما توقعتك، تشككت أن امرأة فى وضعك لن تكون منظمة ونظيفة»

قالت دارين «عفوا، ماذا تقصدين بواحدة فى وضعى» متجاهلة إياها قالت السيدة بيللى «أووف، هيا إلى غرفة النوم يا أوليفر»

قالت السيدة «وسادة واحدة، طبعا هذا لايعنى شيئاً، ملابس نسائية فقط، طبعا هذه أيام صعبة» حدقت فى ساقيها بإحتقار وقالت «فى أيامى كانت المرأة التى ترتدى بنطلون تلك التى تعمل فى المصانع أو شيئا أخر، إنها دلالة على إنحطاط المستوى الإجتماعى أوما ماكفى« مازلت أظنها كذلك» سألته دارين «هل جئتما لتفتشان على؟» أجابت المالكة «نعم، أريد التأكد أنك تقيمين بمفردك».

غير مصدقة «أقيم بمفردى، طبعا أقيم وحدى».

www.liilas.com

فحصت المالكة السرير مرة أخرى، كما لو كانت قد عميت عن أثر جسد رجل «أريد أن أراك فلم نكن نعرف أننا نؤجر لواحدة مشهورة».

غاص قلب دارين «آه، حقا»

«لا أريد أن أؤجر لمن تقف أمام... لا أجرؤ على نطق الكلمة...»

قالت دارين من بين أسنانها «لم أقف أبدا عارية أمام الكاميرا فى حياتى، لم أفعل، ولن أفعل»

قالت بيللى بإختصار «مؤكد أن أمك كان تجلدك بسياطها، قرأت عنها، لم أكن لأستغل إبنتى هكذا»

أخذت دارين نفسا عميقا «عندما بدأت أمى لم تكن تملك شيئا، ياسيدة بيللى، ولاحتى عقد، لم تكن تملك شيئا ماعدا طفلة ترعاها، لأحب سماعك تنتقدينها».

«آووف، ربما تأثرت بالدعاية كثيرا ترتحت أن أراك افضل من دمية، وتأكدى أن متضايقة لتأجيرى منزلى لك».

أنزلت الكلب على الأرض «ها!» ضحكت السيدة بيللى بعصبية «شائعات.. شائعات، شائعات فى كل مكان، المدن الصغيرة وفى المدن الكبيرة، العالم كله ملىء بالشائعات لهذا جئت لأرى بنفس، نعم جئت لأرى»

إذن هذا هو السبب، ولابتزاز المزيد من النقود «حسنا، أظنك راضية، حقا ليس لدى وقت لهذا، لم أعتد التفتيش، إذن، إن لم يزعجك.....»

نفثت بيللى صراخها «تفتيش وسماعى للشائعات، لكن العمل هو العمل، هل تنوى الزواج من هذا المغنى؟ أم تفسخين خطوبتك»

«لا، لاأنوى فسخها، ولا أنوى فسخ عقد إيجارى، لقد دفعت مقدما، ولن أرحل، إن كان يقلقك هذا، ولن أتزوج واظنك تريدين أقوال أكثر لو وجدت شخصا أخر يعيش معى، لكنه الكلب!!»

«لا يغضبنى، هذا منزلى، لى الحق لأعرف من أؤجره له وماذا يجرى «أكد ماكفى لها فعلا من حقها» وهو يفحص زجاجة العطر على المنضدة «لها حق كامل»

إستطردت بيللى «أجرت المنزل وليس كملجأ، ولا أدرى ماذا تفعلين هنا، ولا أستحسن هذا»

«لا أفعل شيئا، جئت لأختلى بنفسى» ضحكت بيللى بمرارة «وخدك؟ ستريك الحياة المزيد من ذلك!، وأستطردت فى نبرتها القتية» الشباب الذكى تقول الصحف أنك مخطوبة له، لايعجبنى، ليس أنيقا، على سبيل المثال، يلبس خاتما فى أذنه، أشك فى طبيعية من يفعل هذا».

تنهدت دارين، كيف تشرح لها، هو يفعل ذلك لأن كل مطربى الروك يلبسون خواتم فى أذانهم، هى مثل الزى الرسمى.

لكن بيللى لم تقطع حبل الثرثرة «عموما، قلت أنك لن تتزوجيه، أعترف، إندهشت منك، لست كما توقعتك، إن لم أكن أعرفك، لا عتبرتك واحدة عادية، إن كنت لن تتزوجيه، لماذا تقول الصحف غير ذلك؟ أظن ذلك بسبب المال، أليس كذلك؟ هذا شائع الحدوث»

أجابت بغضب «نعم، يقولون ذلك بسبب المال، سواء كان خيرا أم شرا، الدعاية أموال»

عادت بيللى الثرثرة العجائز «حب ومال مال وحب، مال

www.liilas.com

وحب وشائعات، هكذا تمضي الأمور وتسير»

علت شفتها إبتسامة وكأن نبع ثرثرتها لايفرغ «والسيد دولونج هو جارنا»

ردت دارين «جار طيب»

لم تفقد العجوز رغبتها فى الكلام بعد «فى النهاية نجح مصنع الخمور، رغم كل التحديات».

ردت دارين «يبدو أنه يعمل بكل جهده»

عادت بيللى لتقول «من تظنينه؟ هو الذى عمل بجد من بين كل إخوته، مثل جده، عندما كان شابا، كنت تظنى أن همه الوحيد هو الضحك، لكن عاش أيام صعبه، وعكف على أرضه، حامت حوله الشائعات كما تحوم حول حفيده الأن، هم يهتمون بأرضيهم العزيزة... هي كل شيء»

قاطعها ماكفى «سيدة بيللى أريد العودة لمكتبي.. هل..»

قاطعته بيللى تيلويح يدها «أريد رفع قيمة الإيجار ياأوليفر؟ لا، لا، لن أرفعه...»

بهت وجه أوليفر وطفح إحساسه بالذنب والخجل من دارين «لكنك قلت..»

«قلت سأتدبر الوضع وأرى إن كنت أوافق أم لا»

سألها ماكفى «ماذا عن الكرسى؟ إنه كرسى جميل، مقعد الحب»

صاحت بيللى «إنه دائما كان يستخدم»

«لكن..» حدق فى دارين ثانية، لكن بيللى أسكتته «لاتزعجها كثيرا ياأوليفر، ولاتزعجيني، ليست كما توقعت حتى أننى أريدها فى منزلى، ويبقى الإيجار كما هو»

فتحت دارين فمها دهشة، وسألتها «لماذا تريدننى هنا؟»

تطلعت بيللى من النافذة «لأرى ماذا سيحدث هذه المرة، لأرى كيف تنتهى الأمور هذه المرة، ستدور وتدور، المال الشائعات الحب».

إبتسمت إبتسامة غامضة لدارين «كنت جميلة ذات يوم، أجمل منك، المال ليس كل شيء ياعزيزتى، تذكرى هذا».

مرت أمام دارين وفتحت باب الشرفة، وقال ماكفى «تحاول إسترجاع ذكريتها، لن تتضايقى ولن ترحلى بسهولة، قلت أنك قدمت نفسك بشكل مزيف، ولا أحب فكرة إلصاق فضيحة بعملائى، خصوصا، التى يهمها هذا المكان، أظنك ستجدين نفسك موقتا على الأقل، للحياة وفقا لقيم رفيعة، لاتزعجيها، وهى امرأة تضحى بكل شيء مقابل عاطفتها»

سألته دارين «هل تريد نقودا؟» لتتخلص منه، ولتتمكن من متابعة السيدة بيللى، وهى تستند على جدار الشرفة وتتطلع إلى الجبل، لكن ماكفى السمسار أومأ موافقا، وحررت له شيكا، وسلمته ليده الممدودة كمتسول، وسمعت بيللى تقول «كنت جميلة، أجمل منها»

ردت عليها «واثقة من هذا»

رد ماكفى «لكن أظنك تريدين رفع قيمة الإيجار...»

أمرته بيللى «أه، إهدأ، أريد أن أراها هذا كل مافى الأمر، لكننى الأن أحببتها هذا المنزل وهذا الجبل يفعل فعله فى الناس، أتعرف، أنا متلهفة لأعرف ماذا سيفعل بها»

إتجه ماكفى إلى السيارة، سألت الكلب نيبورجر «الأن لماذا كل هذا؟» وهى تشاهد السيارة تبعد.

لقد عرف ماكفى من هى، وبإنتهازية إبتز منها النقود، أو

www.liilas.com

يسبب لها متاعب، لكنها شعرت بثقة غريبة أن السيدة بيللى جاءت لتراها فعلا، لتحكم عليها، ماذا تقصد بما قالته أنها تريد ها أن المنزل والجبل لهما تأثير على الناس، ماذا تعنى بذلك ؟

ولقد حذرتها بأن المال ليس كل شىء غريب أمرها أنه عكس على ما كانت تقوله أمها لها، وأيضا لماذا تلمع عيون بيللى بشعاع غريب عندما تحدثت عن جد دولونج ؟ ؟

شعرت أيضا أن كلامها مغلف بالحسد والحسرة والشوق.. لماذا ؟ ؟

لا تدرى ! !

لكنها شعرت غريزيا بأن الصدق كان فى كلام بيللى عن دولونج بأنه لا يهتم إلا بأرضه الغالية الثمينة، وقالت لنفسها يمكنه تحطيم قلب أى إمرأة تحبه للأبد، لقد قرأت مرة قصيدة تقول :

يولمنى البكاء على رجل قاسى القلب لكن الأسوأ
عندما يُبكيك رجل طيب وضحوك ! !

الفصل السابع

مصيدة الحب

بدأت ماريل رحلتها للتسوق من أوكلديا يوم الجمعة، والشراء الصحف والمجلات.

تمنت أن يكون وارين جادا ويكذب مانشر فى الصحف عن زواجها المرتقب، لكن روادتها الشكوك وشبكت أصابعها، وعلى الأقل يجب ألا تنشر كلمة أخرى، وتترك الموضوع يموت طبيعيا، وتتلاشى القصة من عقول القراء، عندما يفسخون الخطوبة بأقل خسارة ممكنة.

عرفت من نظرات الناس أن ساعى البريد كان محقا، الناس يعرفونها، لكنهم كما قال بنفس الود والصداقة، فى محطة الوقود قال لها العامل العجوز «ألست الآنسة شيفيليلد؟ أرجو أن تعجبك المدينة، نحن مفرمون بهذه المنطقة، أرجو أن تستمتعى بوقتك هنا»

فى أحد المكتبات قالت لها سيدة «أعرفك، رأيت صورك، مرحباً بك فى الوادى، أنا هنا منذ خمسة عشر عاماً، لم أستطع الإنتقال لمكان آخر، لاشىء يستطيع أن يعيدنى للمدينة، أبداً»

منتديات ليلاس الثقافية
قمر الليل

فى مقهى توقفت لتشرب فنجان قهوة قالت لها الجرسونة :

« حسنا ، يا حلوة ، سمعت أنك هنا ، هل تريدين الإقامة ؟ »

« ربما ، لا أدرى » .

« أواسيك فى وفاة أمك ، قرأت عنها فى الصحف ، صعب أن يكون مثل ذلك المرض فى عائلة »

لم تعلق بشىء ، فى السوبر ماركت لمحت الصحف والمجلات ، ولم تلحظ أسمها فى أيا منهم ، تنهدت مستريحة ، واشترت النسخة الجديدة لمجلة « العالم يوم الأحد » لتتأكد من انتهاء قصتها .

حملت أشياءها ومشترواتها للسيارة ، وبدأت تقلب فى المجلة ، وجدت فى الوسط عمود معنون بـ « أخبار المشاهير » وجدت خبراً مختصراً ، قرأته غاضبة مستاءة ، كان سوليفان يصرح بأن الزفاف وشيك وأنها فى باريس تشترى لوازم الزفاف .

سوليفان الوغد !! كيف يظن أنه يدفعها دفعاً ؟ وارين النذل !! أيضاً ، هل يظنونها عجينة يشكلونها كيفما أرادوا ؟؟ ينشرون عنها أكاذيب فى مجلة الشائعات والأكاذيب .

إتجهت لمحل يعمل كمكتب بريد ، كما أخبرها الساعى ، وبيع الزهور أيضاً ، حدقت فيها امرأة نحيفة طويلة بإنتباه شديد « أيمكننى مساعدتك يا حلوة ؟ هل هناك مشكلة ؟ »

سألتها : « هل يوب بيللى هنا ؟ »

« مؤكد يا حلوة ، هو فى البيت الأخضر »

ونادته ، جاء مسرعاً « لماذا هنا يا آنسة شيفيلد ، قررت أخيراً الرد على التلغرافات »

« لا ، أسأل ان كان هنا تليفون خاص فعلا ، لا أكلفك شيئاً ، سأدفع لك »

قالت السيدة فلورا « شيفيلد ؟ آه ، هل أنت هنا »

« قلت لك يا فلورا ، الفتاة عادية ، مثل أى فتاة ، هل هناك مشكلة يا حلوة ؟ »

« الصحيفة تنشر أكاذيب عنى مرة ثانية ، أريد التحدث مع أحدهم ، لأنهى هذا الموضوع »

وقفت فلورا من خلف المكتب « إن كنت تتحدثين عن الصحيفة ، لا تهتمى بذلك يا حلوة ، الجميع يعرفها كلها أكاذيب ، لكنك جئت مكتبى ، هناك تليفون »

قادت دارين إلى مكتب صغير ، قدمت لها مقعدا ، تركتها بمفردها وأغلقت الباب وبدأت دارين طلب الرقم ، لكنها سمعت « الرقم المطلوب ليس فى الخدمة ، إتصلى بالإستعلامات »

مستحيل ، وطبيت من السويتش طلب الرقم ثانية ، لكن كما المرة الأولى ، طلبت رقم منزله ، وسمعت « الرقم المطلوب ليس فى الخدمة ... »

ليس هناك أحد ، وارين غير موجود ، لماذا قطع خط التليفون ؟ وحاولت الإتصال بسوليفان فى مكتبه ، سمعت صوت سكرتيرته « تيفانى » وسكرتيرة الدعاية « شيفى ؟ سأوصلك بفيرنون ، دقيقة من فضلك ، هو فى إجتماع هام .

فيرنون كالديرون هو مدير دعاية سوليفان ، كانت أمها معجبة بعمله ، « أين أنت ، هل أنت فى مانهاتن ؟ »

« لا ، أريد محادثة سوليفان ، أريد إنهاء قصة الزواج هذه ، لا أريد نشر المزيد عنها »

سألها « ياه ؟ الأفضل أن تعودى لتقولى له بنفسك ، يا أختى ، لترى ماذا سيقول لك ، لقد سببت مشاكل ، شيفى ،

www.liilas.com

لا تجعلي مهمتي أصعب من ذلك »

سألته : « أين سوليفان ؟ أريده ، أين وارين ؟ لم استطع الإتصال به ، ماذا حدث ؟ »

« سوليفان مشغول ، يستعد لجولة ، أتذكرين ، ليس لديه وقت للعب معك ، ولن يتحدث معك إلا بعد أن تتصرفى كواحدة ناضجة ، عودى الآن »

سألته : « أين وارين ؟ أريد محادثته »

« أريد أنا أن أحدثه بنفسى ، ولا أعرف أين هو ، إختفى ، عندك مشاكل يا شيفى ، مشكلة ضخمة ، عودى الآن سيشرح لك سوليفان »

طلبت منه « إشرحها لى »

« لن أستطيع ، هل تدرين أننى أعرف كل شىء ، كل ما أعرفه رائحة مشكلة ، مشاكل عديدة — وكل ما قاله لنا سوليفان أن تعودى وتفعلى ما يقال لك ، لا أدرى ماذا يحدث ، لكننى أعرف أنك فى قلب الدوامة ، إذن كونى فتاة طيبة ، مثل الأيام الخوالى ، أليس صحيحاً ؟ »

« أخبر سوليفان ، إن كان يريد إيصال رسالة لى يوصلها بنفسه ، فى نفس الوقت سأتصل بالصحافة لأوقف هذا الهراء »

« هل فعلت ذلك يا شيفى ، وودعت كل شىء ، أقصد هذا ، ستثيرين مشاكل وبراكين لا تدرى ما هى ، هذا ما أعرفه أغلقى فمك الجميل ، كما كنت دائماً »

« فيرنون »

« أقصد هذا ، عودى ، فى نفس الوقت إهدئى ، كل ما أشعر به أن كل مكالماتنا ستكون تحت الرقابة ، ليس مثل وارين ، يديك ملطخة بالدماء ، دماء كثيرة »

وأغلق الخط ..

خرجت من المكتب وهى تشعر بإنهيار مفاصلها عجزت عن السير بها وإعتذرت إلى فلورا « آسفة لاستخدام التليفون كل هذه المدة ، كان بيلى بوب مازال واقفا عند المكتب الرئيسى وسألها : « أنت بخير ؟ »

قالت بصوت واهن : « بخير »

قالت فلورا : « يا حلوة ، أعلم ذلك ليس من شأنى أكره الإعتراف حتى بقراءة بعض تلك الصحف فقط أقرأها عند الكوافير ، لو حاول أحدهم مضايقتك ، لا تسمحى له ، مما قرأته عرفت أنهم يتحكمون فى حياتك كثيراً ، إستخدمى كل أسلحتك ، اسمعينى »

قال بوب بنفاذ صبر « ياه ، هس يا فلورا اتركيها لحالها ، لا تتدخلى فى حياتها الخاصة »

وهى تنظر له بتعالى « لست متطفلة ، أعبر فقد عن رأيى ، نحن فى بلد حر » نظرت إلى دارين مرة أخرى « تعالى أى وقت يا عزيزتى ، يسعدنى مساعدتك ، لكن تذكرى ما قلته ، لا تسمحى لأحد بالتلاعب بك »

فى طريقها للمنزل دار رأسها وتشتت أفكارها ، أين وارين ؟ لماذا قطع خطه التليفونى ؟ حذرها بوجود مشكلة — لكن هل هى مشكلة خطيرة يهرب منها ؟ مستحيل .

حديثها مع فيرنون كان مربكا ومزعجا جداً ولم يوضح لها جديد ، لماذا يظن أنه وسوليفان قد يتحكمان بها كما لو كانت دمية ؟ سوليفان يتصرف وكأنه ولى عهد مدلل ، يصدر أوامر ، وفيرنون يبدو مذعورا ، ومثله لا يخاف بسهولة .

ربما كان ريب محقاً ، يجب أن تتصل بالصحافة فوراً ، لتنهى

www.liilas.com

كل هذا الزيف، يجب أن تكون صريحة، ستتحرر من الموقف الضاغط، هل يمكنها ؟؟

لكن فيرنون أفهمها أنها لو فعلت لن تكون حمقاء بل تسبب مخاطر، مخاطر للمحيطين بها.

يمكنها التوصل لنتيجة واحدة، مهما كانت، مهما كانت الخسائر التى سببها وارين، سوليفان وأمها، فلن تشاركه معهم، إن كان سوليفان يتوقع منها شيئاً، فلماذا لم يتصل بها، ليشرح لها، وكان يدينها بذلك، إن كان ما يحدث خطيراً حقاً، كان يبحث عنها، لتترك الخطوة القادمة له.

هو لا يريد الزواج منها، ولا هى، إذن لماذا أصبح الزواج فجأة موضوعا هاماً له ؟

فكرت فى ريب، مؤكد سيقرأ الخبر المنشور أخيراً عنها، سيؤنبها لعدم إهتمامها بحياتها، ويذكرها بأنها مثل أمه ــ ساذجة وبلا حول ولا قوة ــ ولن يفهم لماذا لم تكذب القصة الصحفية.

تذكرت أن أشد ما يخيفها أن ريب لن يفهمها، لن يفهمها أبداً، وأرعبها هذا لأن ريب أصبح... رفضت التفكير فى ما أصبح عليه بالنسبة لها. شكراً له لجعله الموقف أشد ايلاما مما تستطيع تحمله.

تحالف الطقس مع أفكارها لتعكير صفوها وزيادة توترها، حيث إلتقت السحب الداكنة حول قمة الجبل، وأصبحت السماء كأنها خيمة سوداء.

أمضت بقية الظهيرة والأصيل فى مراجعة كتاب الطهى، وفشلت فى صنع كيك الشكولاته، وتناولت عشاءها بدون شهية، ثم خرجت لتجلس فى الشرفة وأظلمت السماء فجأة، وتلاشت ألوان الغروب، وأسرعت السحاب فى طريقها ورأت

أضواء البرق فى السماء، وتساقطت أوراق شجرة التوت، وتصاعد الغبار حولها، أدركت أن ريب لن يأتى، عليها ألا تفكر فيه، فهو لا يفكر فى الارتباط الجاد، يفكر بعقلية السيد والجارية !!

بحثت عن الكلب ليمبو ولم تجده، قالت ربما يكون مختبىء فى المطبخ فهى قد سمعت أن الكلاب تخشى العواصف، ومن خلال العتمة لمحت أنوار جرار ريب قادمة، وقفت فى إنتظاره، وقلبها يخفق بشدة، أوقف الجرار وهبط منه، كان يبدو مرهقاً، نظرت فى ساعة يدها، لقد جاء متأخراً عن عادته، ربما كان يومه شاقاً، ربما، تمنت كطفلة ألا يكون قد قرأ الصحيفة، الأمور أصلا متوترة بينهما ولا تحتاج لمزيد من التعقيد، خلع قبعته وهو يصعد سلم الشرفة.

قال لها بصوت أجش: «اجلسى، يزعجنى النظر لشخص واقف»

جلست بجواره فى عصبية «يوم شاق طويل ؟»

تنهد مجيبا: «حوالى ٩٨ ساعة عمل، لقد توقف الحصاد»

سألته: «ألن تبدأ ثانية لاستكماله»

«نعم، وأنا المحظوظ هنا، تركتهم مبكرا، الآخرين سيلحقهم المطر، أمامنا يوم آخر لينتهى الحصاد»

سألته وهى تتفحص شحوب وجهه «لماذا تعمل بكل هذا الجهد الشاق؟ الجميع يقولون أنك حققت النجاح هنا، ألا يمكنك أن تستريح، وتدير العمل ؟»

«ليس ما يكفينى من النجاح، فى يوم ما يمكننى الإبطاء، وحتى ذلك اليوم مثلما قلت لك أنا متزوج من هذه الأرض، من هذا الجبل اللعنة عليه»

«لكنك تحبه»

www.liilas.com

«لا أحب ما هو على وشك الوقوع.» وهو ينظر في السماء، بينما هبت عاصفة قوية قالت: «المطر، هل سيفسد الكروم»

«ربما، إن لم تفسده العواصف، ولا حول لي، لذا لن أقلق، وأنت قضية أخرى»

سألته في دهشة تعسة «أنا؟»

«أنت» وأخرج ورقة مطوية من جيب بنطلونه «أنت مصدر قلق دائم لي، ذهبت للمنزل لأحضر لك بطاريات جديدة للمصباح» تناولت البطاريات منه وقالت بنعومة: «دائماً تفكر في كل شيء».

«اللعنة على ما أفعله، تأكدي تماماً أن العواصف قد تزيل الجبل والمطر يدمره يمكنك الإنتقال لمنزلي لو أردت، مديرة المنزل ليس لا تكره الآنسات» كانت دعوته شخصية بسيطة، أجابت: «شكراً، لا»

سألها «أتريدني أن أبقى معك؟»

«طبعا، لا، أنا بخير، لا أخاف من المطر»

جلسوا صامتين: صمتاً غير مريح، وسألها متلفتا حوله «أين ليمبورجر؟»

«في البداية ظننت أنه في الخارج، كنت أنظف السجادة وتركته لفترة، الآن أظنه مختبيء من العواصف»

أمرها «عندما تجدينه لا تتركيه»

«لماذا؟»

«لأن من ضمن الأشياء الخاطئة اليوم هناك كلب مسعور في الحقل، هذا طقس الكلاب المجنونة»

«كلب مسعور؟».

«هناك كلاب مجنونة في الريف لكنها ضالة أرسلت خلفه

رجل أطلق الرصاص عليه، لكنه جرحه ولم يقتله»

«لكن.. ليمبورجر في أمان، أليس كذلك؟»

«لا تخرجي تبحثي عنه»

«لست معتادة على الخروج والتجول، لكن ربما سأفعل للبحث عنه، كيف أعرف أنه ليس في مشكلة؟»

عندما تأهبت للوقوف جذبها لتجلس ثانية، «قلت لا تخرجي، ولا تقلقي على الكلب، هو ذكي، افعلي ما أقوله لك!»

صاحت رافضة «ريب أنت تجرحني!»

«يبدو كأنك لم تعتادي تلقي أوامر؟»

أومأت برأسها وهي غير واثقة.

«حسنا، لم أعد أطيق ما تحبيه أو تكرهيه إن أردت المجيء للريف لتلعبي لعبة الاستعمارية أو تجعلي أصدقاءك يسعون خلفك، جميل العبي كل تلك الألعاب كما تشائين، لكن ليكن معلوما لديك: عندما تلعب الطبيعة لعبتها، تلعبها للأبد، إسمعي كل ما قلته لك، وافعلي ما أقوله»

صاحت بغضب «آه يا الهي! تبدو وكأنك الصياد الأبيض العظيم، ماذا تريد مني؟ أقول «نعم سيدي» والسلام عليك؟»

«لا، أريد أن تهدئي داخل المنزل حتى تهدأ العاصفة، ولا تلوميني أريدك أن تنتبهي لنفسك ولكلبك في الأيام القليلة القادمة، في نفس الوقت، سأكون سعيدا عندما يكن لديك تليفون، بحيث أجعل تتصل لتطمئن عليك، ولا أحب التردد مرتين يوميا هنا للإطمئنان بأنك مازلت على قيد الحياة»

«لم يطلب أحد منك المجيء هنا! من طلب منك؟ أنا لم

www.liilas.com

أطلب منك ، قال متهكما « الواجب الانسانى يتطلب منى الحفاظ عليك ، حتى تكونى آمنة لعشيقك الأشقر »

« هو ليس عشيقى ، أظنك تعرف هذا ، تعرف القصة العتيبة السخيفة ، هى دائماً أكاذيب »

« نعم قرأت الجريدة ، ودائماً تقولين أنها أكاذيب ، لكن لم تفعلى شيئاً واحداً ، ليست هذه طريقة لكسب الثقة ، يا صاحبة العيون العسلية »

« أحاول عمل ذلك ، بطريقتى »

« ألم تجهدى نفسك لتعرفى ما هى المشكلة مع وارين ؟ »

« لا أعرف ما هى المشكلة »

« هل إتصلت بأحد ليفسخ ارتباطاتك »

« لم استطع الإتصال بأحد ، فعلا لم استطع .. »

وقف « أم تكذبين ياعزيزتى أم تخشين مواجهة الحقائق ، أم تستمتعين بنصيب سيرك حياتك ، قلت لك من قبل ، لن ألعب ، خصوصاً الليلة ، أنا مرهق ، لا تجعلى العواصف تطوح بك بعيداً »

هبط السلم وركب الجرار ، سارت خلفه إلى حافة السلم ونادته « ريب دولونج ، أنت حتى لا تسمعنى أنت سىء مثل الآخرين ! »

بلهجة تقطر سخرية ومرارة « ربما أسوأ منهم بعد كل شىء ، ماذا وعدت به ؟ لا شىء بعد كل شىء ، ماذا وعدت به ؟ لا شىء ماعدا فرصة الوقوف بجوارك حتى تستعيدى ثباتك وتديرى حياتك كإمرأة واقعية ، أظنك تحبين الهدهدة »

أضاء مصابيح الجرار ، وبدأ يتحرك ، صاحت « أكرهك ، حتى لو قلتها آلاف المرات ، لا أعبر لك عن مدى كراهيتى

لك » لكنها تعلم أنها لا تكرهه بخلاف ما صاح به لسانها ، بل على العكس لقد وقعت فى مصيدة الحب ، وهبطت السلم لتبحث عن الكشاف الذى قذفته فى الفناء لكن المطر كان قد بدأ يهطل !

منتديات ليلاس الثقافية قمر الليل

الفصل الثامن

لم أعد جارية

كان ريب على صواب فيما قاله بشأن العاصفة، فلقد إجتاحت الجبل كزلزال وجلست دارين على المقعد ملتفحة بروب الحمام. والعاصفة تزمجر بقوة لم تكن تتوقعها تابعتها لحظة من الشرفة، مؤملة ظهور الكلب ليمبورجر، لكن بلا جدوى، لكن البرق والرعد حاصرا المكان، بينما ترقب الشهب المتساقطة والعاصفة الجامحة ملأها الخوف ودخلت المنزل، كانت أنوار المنزل تنطفأ مراراً، والرعد يزمجر بعنف، جهزت مصابيح غازية وشموع ووضعت الكبريت فى جيبها، والبطارية بجوارها، فتحت المذياع الصغير، وسمعت تحذيرات الطقس، وكان الراديو كأنه سينفجر، اضاءت السماء ببرق ساطع للحظة، والرعد هز أركان المنزل كزلزال، ارتجفت تمنت أن كانت قد داست على كرامتها وذهبت مع ريب، تمنت أن كانت قد طلبت منه البقاء معها، تمنت ان كانت قد بحثت عن ليمبورجر فى ضوء النهار لكان جلس بجوارها الآن، تزايدات حدة العاصفة وزمجرة الرعد معاً قفزت بلا وعى لقد إنطفأ النور، وساد الظلام المكان، اشعلت عود ثقاب وأضأت شمعتين، شعرت أن المطر

بدأ يضعف، والعاصفة توقفت، لكن حدث برق ورعد جعلها تقفز من مكانها، فتحت الباب، نظرت فى الخارج لم ترى شيئاً، سوى الظلام الدامس وقفت فى الشرفة، كانت أضواء الوادى ساطعة، ارتعدت، احكمت الروب حول جسدها؛ وسمعت صوت نباح، إنه نباح ليمبورجر، كان غاضبا، لكن بلا خوف، كان صوته قادما من المخزن؛ فكرت فى الكلب المجنون، هل الكلب المجنون فى المخزن، هل هو مخبىء هناك، ووجده ليمبورجر، وسيقتله

إجتاحتها مشاعر العزلة والعجز، وارتفع نباح ليمبو، لكن العاصفة زمجرت لتغطى على صوت النباح، أسرعت بالدخول، أضاءت البطارية وجرت إلى غرفة النوم ارتدت الجينز، البوت، السويتر، ومعطف المطر، وذهبت إلى المطبخ، فتحت الدولاب وتناولت البندقية، وجدتها ثقيلة، رغم كرهها لها فالأفضل أنها احتفظت بها، خرجت لتقف مترددة فى الشرفة، تحاول استكشاف ما حولها، بينما المطر يهطل غزيرا، وسمعت نباحه مرة أخرى، ماذا يجب أن تفعله؟ لا تريد الذهاب للمخزن، لا تريد مواجهة ما هناك، تنفست بعمق، هدأت نفسها ربما لا شىء هناك، ربما قطة ضالة، وهى معها بندقية، وهى فى أمان، يجب أن تذهب لتحضر ليمبو، أخيراً اتجهت وسط الظلام إلى المخزن، كان نور البطارية خافتا الآن، وعنفت نفسها لقذفها الحجارة، بلل المطر شعرها، تخلل معطفها ليغمر جسدها، فى منتصف الطريق إلى المخزن إنغرس البوت وسقطت على الأرض، وقالت لنفسها مهما كان الذى هناك عند المخزن لا تؤذيه ربما لن يكن خطيراً، نادت على ليمبو وتزايد نباحه، دخلت المخزن، وشعرت كأنه مسكون بأشباح نادت «ليمبورجر»

www.liilas.com

لم تستطع رؤيته، شاهدت ظلال الكلب الكبير، قالت الكلب المجنون اقتليه قبل أن يقتلنى والكلب، وهى تحاول تهيئة البندقية سقطت البطارية، ارتعشت يدها، صوبت ناحية الكلب الكبير وشدت الزناد، لم يحدث شىء، سمعت الكلب المجنون يهاجم ليمبو، ثم ينبح بوحشية فيها، شدت الزناد ثانية ولم ينطلق شىء كان مفتاح الأمان مازال مكانه، شدت الزناد للخلف، إنطلقت الرصاصة، صاحت بحماس، كان صوت الطلقة مثل الرعد، سقط الكلب المجنون، لكنها شعرت بألم شديد، وراحت فى غيبوبة.

عندما طمر المطر وجهها أفاقت حاولت فتح عينيها، كانت ذراع قوية تمسك بها، كانت واثقة جداً أنها أمام ملائكة الموت، لكنهم لا يصيحون «هل أنا على قيد الحياة؟»

«نعم، هل هذا ما حرصت عليه» كان صوته صوت ريب غاضبا محتجاً مندهشاً، بضعف طوقت عنقه بذراعيها «ماذا حدث؟» وهى تدفن رأسها فى صدره.

«أطلقت الرصاص على نفسك فى ركبتك، يا آنسة أنا أهتم بنفسى، أنت محظوظة إنك لم تحطمى رأسك» أدركت فجأة أن ركبتها مصابة بشكل خطير، كان يحملها فوق سلم الشرفة وسألته «أين ليمبورجر؟ الكلب المجنون.. ريب.. إنه فى المخزن!

«ليمبورجر بخير خلفنا» أدخلها غرفة النوم وأراحها على سريرها، كان معه بطارية كبيرة سلط الضوء على ركبتها اليسرى «أظنك فقط خدشت ركبتك»

وخلع لها البوت، كانت الركبة مجروحة بحركة واحدة ماهرة نزع البنطلون الجينز عرى ساقها حتى الفخذ، كان الجرح عند

حافة الركبة، فحصه ريب بعناية، ثم ربطه بمنديله ليوقف النزيف، خرج ريب غاضبا وعاد لينظف الجرح بمضاد حيوى صاحت: «أخ»

صرخ فيها: «أخ فعلا، إهدئى تستحقين الجرح»

«الكلب المجنون هل قتلته؟»

«ليس هناك كلب مجنون»

«ريب هناك كلب مجنون، رأيته، كان ضخما، حاول أن يعض ليمبو ويؤذينى»

أضيئت الأنوار ثانية قذف ريب الشمعة وأطفأ بطاريته، «الكلب المجنون الضخم المرعب الذى رأيته هو فعلا كلب لكنه ليس مجنونا، ولم يحاول مهاجمتك بل الدفاع عن أبيه، تحياتى، لم يعد لديك كلب واحد بل ثلاثة عشر كلبا»

«ماذا؟» كان يجلس أمامها على السرير خلع لها معطف المطر وأجابها «نعم، لديك ثلاثة عشر كلبا، صانع المشاكل هنا، واثنى عشر فى المخزن»

قذف بمعطفها فى سلة أسفل السرير «إخلعى ملابسك، ألبسى ملابس نومك إن لم تموتى من الجرح ستموتين من نزلة برد، السرير أصبح مبللا»

حاولت أن تعتدل «لم أكن أدرى أننى لا أستطيع المشى».

لمرة لم تستطع أن تعصى أمره، كان يتطلع فيها وهى تخلع ملابسها، وترتدى الروب فى الحمام وتعود، وعلق هو معطفه، وقال لها «تعالى» وهو يسوى لها الغطاء، خلعت الروب ووضعته على حافة السرير ودخلت تحت الغطاء.

جذب مقعداً ليجلس بجوار سريرها وأطفأ النور، سألته

arabicbooks.com

«ماذا ستفعل ؟»

«سأبقى بجوارك ، إهدئي»

«يجب ألا تبقى ، ولن أستطيع النوم» .

«لن أتركك وحدك ، ربما تستيقظين أو يغمى عليك اهدئي»

سألته «لماذا جئت ، كيف عثرت على ؟»

«جئت لأطمئن ، وسمعت صوت إنفجار في المخزن ، وجدتك مستلقية على الأرض»

«كنت أظنه الكلب المجنون يا ريب»

«ما يجعلني أجن ، وأعترف بك ، ربما كنت حمقاء ، لكنك شجاعة»

«لست شجاعة كنت خائفة حتى الموت»

«هذه هي الشجاعة ، تفعلين شيئاً حتى لو كنت خائفة للموت ، نامي»

جذبت الملاءة ولفتها حول عنقها ، وغمغمت «البندقية ، الزناد ، لم أعثر على زناد الأمان»

«لا أصدق هذا» .

«حقاً ، أخشى أن تنطلق خطأ ثانية»

«دارين ؛ ليس هناك مفتاح أمان في المسدس الأسلحة الأتوماتيكية فقط لها ، قلت لك مراراً طالما لا تفهمين لا تستخدمي المسدس ، أتمنى أن تكوني قد تعلمت درساً ، ربما لا يجدي التعلم معك ، لا أدري» لم تجبه .

سألها «دارين» ولم تجبه

«هل تبكين» فجأة كان بجوارها ، يمسح دموعها ، وتعلقت

لكنها لم تقدر على البوح بحبها له .

استيقظت في الصباح على صياحه في المطبخ ، وأحضر لها فنجان قهوة «سأجهز لك الإفطار»

فرغت من شرب القهوة واعتدلت لتلبس الروب ، وقالت له «لقد اتصلت بوارين أمس حاولت ، لكن كل تليفوناته مقطوعة»

رمقها «ممتع»

«حاولت الإتصال بسوليفان ولم أجده ، تحدثت مع مدير دعايته ، لم يقل لي شيئاً ، ماعدا تهديده لي بالعودة سريعاً»

«هددك ؟»

«قال أن هناك ناس ستتضرر»

«إذن لماذا لا تعودين إلى نيويورك للتحري ؟ ألست متلهفة لمعرفة تلك المشاكل ؟»

«لا ، أنا خائفة منها»

سألها : «ماذا ستفعلين ؟»

«لا أدري ، ومندهشة أنك لم تقولي لي ما يجب أن أفعله دائماً نفعل ذلك» .

«هذه المرة لا ، وأبدا ، لك تفكيرك وقرارك ، والطريقة التي تريدينها ، ولن أعطيك نصائح في هذا الموضوع»

وأشار إلى وجهها في المرآة وهو يقف خلفها «إنظري لوجهك ، كله براءة وغموض أول مرة رأيتك عرفت كيف شعر الإغريق القدماء عندما ظهرت لهم الآلهة»

وهو يشير إلى صورتها «أنت التي تتخذين قرارك ، وتتخذي موقفا»

إلتفتت نحوه «أعرف أنك تظنني أخطأت ..»

www.liilas.com

ابتسم لها «لا، تذكرى أننى رجل لم يعد يقدم نصائح، وأعرف كيف أتعامل مع نوعيتك»

«كيف؟»

«الطريقة التى تعامل بها كل النساء، اعادة تشكيلهن، الحياة أقصر من أن نأخذها بجدية، جئت لتلعبى، وهو كذلك، سنلعب بدون عهود، بدون مستقبل، بدون تبرير».

«آه»

«فقط نستمتع، ماذا هناك غير ذلك؟ الآن يجب أن أعود لأخبر مديرة المنزل بأكاذيبى»

«ريب، لا أدرى متى تكون جاد أو هزليا؟»

«فيما يخص المتعة أنا جاد دائما، ولا تذهبى للمخزن للعب مع الكلاب الصغيرة»

«ماذا أفعل بكل تلك الكلاب؟»

«حلى مشاكلك بنفسك، حظ سعيد، بالمناسبة أخذت البندقية»

ذهب، وهى تتابعه بعيونها وتشعر بالفراغ والخواء، أى نوع من الرجال هو، فى لحظة حساس وطيب وأخرى هزليا، وقحا!!

الفصل التاسع

مواجهة

بعد تناولها إفطارها ملأت سطل كبير بطعام الكلب، وحبست ليمبو فى المنزل وذهبت إلى المخزن بخلاف نصيحة ريب، مؤكد أنه يتضور جوعاً كان الكلب بنى اللون مع أبيض، مرتعدا، كان بجواره إحدى عشر كلباً وليدا، وضعت الطعام وغادرت المخزن، وعادت بالمياه، وكررت نفس الأمر بعد العشاء، وبدأت الكلبة تعتادها وتألفها.

كان الظلام قد بدأ يلف المكان بستائره السوداء عندما جاء ريب دولونج ليجدها فى المخزن، نبحت الكلبة عند دخوله «أعرف أنك ستكونين هنا، طالما أن هذا ما طلبت ألا تفعليه»

«اش، أنت تخيف الكلبة، بدأت تثق بى»

ونظرت إلى الكلاب الصغيرة «لا تهتم به، هو يعتبرنى هدف لإعادة التشكيل وهو مشهور بجعل الطيور والعصافير تسكر من خموره

«هل ستقضين ليلتك هنا؟ هل وجدت فى النهاية مهمة تقومى بها؟»

«إهدأ! أنت تثير أعصابى سأعود للمنزل»

وقف منتظراً اياها عند الباب، سألته «كيف حال الحصاد؟ بأحسن حال أرجو ذلك»

«عمال الحصاد يتصرفون عكسك، كيف حال جرح ركبتك؟»

منتديات ليلاس الثقافية
قمر الليل

«إنها تتصرف بخلافك، هل اضرت العاصفة الكروم؟»

«ليس ضرراً كبيراً، نحن محظوظون، لم يحدث أى دمار؛ لكن لو لم يتوقف المطر، سيبدأ الدمار»

وهى تصعد سلم الشرفة «حياة الفلاح ليست سهلة»

«ولا هى مملة، وجدنا الكلب المجنون، بالمناسبة؛ أصيب بشكل أخطر مما كنا نظن الآن لماذا لا تدعوننى للداخل لتناول القهوة، لقد عملتها لك هذا الصباح»

تراقص ليمبو جزلا مسرورا، وهى تصنع القهوة أكدت لنفسها يجب ألا يفكر فيما جرى هذا الصباح، كان ريب يجلس معها فى المطبخ، ويمسك بأذن ليمبو «أيها الكلب المسكين، وجدت كلباً غيرك، وستتجاهلك وتتجاهلنى، أتمنى أن تتعلم درساً عن النساء هن متقلبات»

مد يده للصينية وتناول كعكة وقضمها «ليست سيئة، صنعتيها بنفسك؟ لطيفة فى الواقع، تريدين الزواج؟ آه، نسيت قلت ذلك من قبل، سىء جداً»

«أصمت، لن أتزوج قلت ذلك مليون مرة وأتذكر أنك لست من النوع الذى يتزوج»

«وأعرف ما قرأته فى المجلة، بالنسبة لكونى عازف عن الزواج ــ أنت على حق، غير ذلك لا»

«لا أظنك تلتزم سوى بمصنعك الثمين»

«أنا أكثر جدية مما تعرفين، لقد رأيت كيف يفعل بناء هذا المكان بالرجل، وإمرأته، أمى رحلت بدون امتلاك شىء، فى الواقع، رحلت بلا شىء، كانت امرأة تحتاج الكثير وتريد إقتناء الكثير، أكثر مما تحصل عليه، وكره أبى نفسه لعجزه عن تلبية حاجياتها، الشىء المثير أنهما كانا يحبان بعضهما، لكنها

كانت لا تستطيع أن تحمى نفسها، كان صعباً عليها التعامل مع تلك الأمور، وأصبحت تعيسة وعمل أبى بكل طاقته، مؤملا تحسين الأوضاع وكلما زاد جهاده كلما غاب عن عيونها وتزايدت تعاستها، وكل ما بدأ حلوا شفافاً أصبح كابوساً مزعجاً لهما، أذكر ذلك أذكره بوضوح، كانت أيام تعسة طويلة بائسة»

قالت دارين بحرص «لكنك تخطيت وقهرت الصعاب، ونجحت»

«ليس بما يرضينى، ربما يوما ما، لكن من الآن، سأبدأ غرس كروم جديدة، قصيرة لكن حلاوتها هائلة، لقد كسبنا ميدالية برونزية فى مناقشة دولية على أحد أنواع خمرنا، أنا أريد الفوز بالذهبية، أريد أن تكون المصنع رقم واحد فى الجنوب، وهناك مصنعين فى كاليفورنيا أريد شرائهما»

«ربما يجب أن تتزوج العنب»

«ربما يجب ذلك، لا يسيئنى هذا، هل ستلعبين فعلا مع كلاب المخزن؟»

«نعم، لماذا لا؟»

«لو وجدك أحدهم، سيدق عنقك هنا مشكلة مع الكلاب الضالة»

«أمر فظيع، وهى كلبة سيئة المنظر»

«لا، لها معجبين يطاردونها، وهى لا تستطيع كيف تصطاد، ولهذا أوقعها أحدهم، هذا يحدث دائماً، مثلما مع هذا» وشد أذن ليمبو.

«يمكننى أن أصدق وجود ناس بلا قلب»

«يجب أن تتعلمى الكثير»

«هل يطاردون كل تلك الحيوانات»

www.liilas.com

تناول كعكة أخرى «وبعضها يموت جوعا، وبعضها متوحش، ماذا تفعلين إذن؟»

«سأحاول إيجاد مأوى لهم»

وهو يضحك «أنت فعلاً حالمة وخيالية، إبعاد الكلاب من هنا، مثل بيع الرمال للعرب»

«أعرف شيئاً أو شيئين عن كيفية بيع الأشياء، فلقد عشت حياتي للمساعدة على بيع الأشياء، أتذكر، سأجد لهم مأوى، إنتظر لترى»

ضحك «ربما تفعلين، أنت تصيبني بالذهول يا دارين، كيف علمتك أمك هذا؟»

ملأت قدحها بالقهوة «لا أريد التحدث في هذا».

«لا تتحدثين، وتلك المهنة التي ساعدتك للنجاح فيها — لا تهتمي بها؟»

إعترفت «في البداية كانت ممتعة، إرتداء ملابس؛ ثم تلاشت المتعة، وأصبحت فظيعة مرعبة، لكنني كنت أريد ارضائها، هي لن..»

أكمل لها «لم تكن راضية»

قالت دارين بنعومة: «لم تكن تشعر بالأمان أبداً، كانت الحياة صعبة معها، كانت تخشى عودة الأيام الصعبة»

قال متهكما: «ولذا جعلت الطفلة تعمل ولذا حرمت من طفولتك حتى الآن»

نظرت في قاع فنجانها، وهي تسترجع كيف تبدو بالنسبة له.. مترددة، فارغة الذهن، طفلة بجسد امرأة، ربما كانت كذلك، لكنها ترفض ملاحظته وقالت: «ربما لم تكن أصعب منك، كل ما حصلت عليه لم يشبعك بعد لا النجاح هو نجاح بما

يكفي، أنت تدور في طاحونة طموحك التي لا تهدأ»

نظر إليها لحظة ثم ضحك «هناك فرق لست جشعاً طماعاً، أنا حساس، لم أجعل طفلتي الصغيرة تعمل لأجلي»

«أظنك كنت ستفعل لأجل خورك الغالية»

«لا، لم أكن لأفعل، ولم أكن أسمح لها بالسير في طريقك، بينما العالم ينقلب رأساً على عقب في نيويورك تهتمين بكلاب ضالة هنا»

«أعرف أنك تظنني بعقل طفلة في الثامنة»

«لم أقل هذا، قلت أنك لم تعيشي طفولتك»

في الأيام اللاحقة توقف المطر وسطعت الشمس وقضيت هي وريب يوم الأحد على الشاطىء، وتناولا الغذاء في أركاريا وشاهدوا فيلما، وشعرت بصدق كلام صاحبة المنزل بأن الحياة في الجبل تغير المرء، فعلا هي تغيرت، تشعر بهدوء وقدرة على متابعة ما يجري، شعرت بمرح وطيبة ريب ومحاولاته ارضائها، لكنها تعجبت من هذا التناقض في شخصيته كل تلك الطيبة مع كل هذا الحذر والتشكك فيما يتعلق بالحب، لكنه كان صريحاً معها.

تزايد حبها له يوما بعد يوم لكن بلا جدوى وبلا أمل، فهي تعرف أنه لا يؤمن به.

في ظهيرة يوم الخميس والشمس تغطي كل الدنيا بشعاعها الذهبي جاء ريب كالمعتاد، معه وردة غريبة، لونها أبيض وبنفسجي جميلة جداً قال لها إنها «وردة الحب، تنمو تلقائيا هنا؛ يبدو أن كثير منها تفتح وأزهر منذ جئت أنت للجبل ماذا يعني ذلك؟»

قالت لا أدري، وضحك قائلاً أنها دائما عاجزة عن أداء

www.liilas.com

مسئولياتها وقال «أظن أن الجبل كله يحبك»

بعد الغذاء، قامت برحلة عاجلة إلى أركاديا لشراء طعام للكلب.

جلست فى الشرفة وهى تسمع صوت سيارة تتوقف ظنت أن ماكفى والسيدة بيللى عادوا، لكنها كانت سيارة «سكارليت» وسمعت صوت نسائى يقول «مزرعة مشمسة»

تطلعت لتجده إنه سوليفان، يقف عند الباب مرتديا قميصا ورديا حريريا، نصفه الأعلى مفتوح وسلسلة عنق، وحلق ماسى فى أذنه، ونظارة شمسية، شعره الأشقر تحت قبعة بنامية، نبح الكلب ليمبو، صاح سوليفان «أصمت يا كلب»

لم يتوقف ليمبو عن النباح، وخطا سوليفان ناحية المدخل وصعد سلم الشرفة ورأها وابتسم لها ابتسامته الفارغة «نادى كلبك يا شيفى، يا الهى، أصبحت هزيلة ماذا فعلت بنفسك؟»

«لا شىء»

دائماً كانت فاون تقول أنك فلاحة فى أعماق قلبك، يا إلهى، حافية القدمين»

«أدخلينى المنزل، حار قاتل، ضوء قاتل، هل تظنى أن العيش هنا سيجعلك سعيدة».

سألته: «ماذا تريد».

«أولا ندخل، ثانيا نتناول مشروبا بارداً ثالثاً توقفى عن التمثيل واسمعى، الغيت حفلا لأجيء لك، طرت من دلاس، أجرت تلك السيارة، أنا فى مشكلة بسببك يا شيفى».

فتحت الباب «إدخل، سأحضر لك الليموناده، وأذهب من حيث جئت، الطريقة الوحيدة التى تسوى بها المسألة هى إنهاء كل ما بيننا»

تابعها داخل المنزل، خلعت النظارة رأت ماكياج وتكحيل عينيه، هذا غالباً ما يحدث فى نيويورك ويصيبها بالغثيان، وقال «لن تنتهى الأمور بيننا، يا إلهى، ماذا تقول فاون؟ ستتألم فى قبرها»

«أحضرت لك الليموناده، إذن عد من حيث جئت»

جلس على المقعد، سحب منديلا حريريا بلون وردى «أكره الكلاب، أخرجى الكلب يا إلهى الجو حار، لقد قدت السيارة لساعات، أنا مرهق جداً»

«تناول الليموناده واذهب» ولم تجلس، «اجلسى»

جلست، قال لها «سنتحدث ثم تحزمى حقائبك لتعود إلى تكساس، ونتزوج الليلة لن ننتظر»

نظرت إليه بدهشة حقيقية، ظلت ذات مرة أنه جذاب، لكنه يبدو مفتعلا مصنوعا كوردة صناعية، سلوكه كطفل مدلل.

ضحكت «سوليفان، لن نتزوج، لم نكن مخطوبين فعليا، لم تهتم بى أبدا، كنت تهتم بالحديث عن المال طيلة الليل مع أمى»

«كانت سيدة ذكية جداً، صعب تصديق أنك إبنتها، سنتزوج يا شيفى، حتى لا نخسر عملنا»

«منذ كنت طفلة واسمع كلام عن العمل تعبت، الناس لا تتزوج لأجل العمل، لكن صرحاء مرة واحدة فى حياتنا، يا سوليفان، أنت لم تحبنى، والآن أنا لا أحبك، وهذا لا يصلح أساس للزواج»

نظر إليها ببرود «تعبت من مهنتك؟ لطيف، إذن ماذا تفعلين؟»

«أقيم هنا، أحببت المكان، أدرس فى الجامعة، ربما

أشترى مزرعة صغيرة لى ، لتربية المواشى »

ضحك « ليس ممتعا ، إنها هيستريا أنت مجنونة ، تعيشين بماذا ، بالهواء ؟ »

« بأموالى ، تعبت أعوام لأجلها ، جاء الوقت لأقرر أن أعيش كما أريد »

« شيفى أيتها الفتاة البائسة ، ليس لديك أدنى فكرة »

« عن ماذا ؟ »

« هل حاولت الإتصال بوارين مؤخرا ؟ »

« نعم ، أين هو ؟ »

« مختبأ فى جنوب أمريكا كما سمعت منتظراً »

« فى إنتظار ماذا ؟ »

« ليرى ماذا ستفعلين ، لقد هرب بسببك »

« أنا ، لماذا يخاف منى ؟ »

« لأنك إن لم تتصرفى ستدمرى حياته ولديه زوجة وطفلين مازال فى التعليم ، يا للعار يا شيفى ، تسببين كل هذا البؤس »

وقفت « سوليفان ، إمشى ، توقف عن المراوغة فى الحديث ، أنا لا استطيع عمل شىء لوارين ، فقط أريد أن أعيش حياتى »

« لن تستطيعى »

« ماذا ؟ »

« لن تستطيعى يا شيفى ، ليس هناك أى أموال لتعيشى بها ، سيطاح بنا إن لم تفعلى ما أقوله لك تحديدا »

« حدقت فيه ، ضحكت بنعومة ، كما لو قال نكتة حلوة

« ماذا ؟ »

« قلت لك ، تفعلى ما أقوله ، أو ستدمرى حياتك ، وحياتنا جميعاً »

« لا أفهم .. »

« كانت فاون مجنونة بالمال ، مالك يا شيفى ، ولم تكونى ساذجة لتفهمى هذا ، لم تريد لأحد أن يتحكم فيها ، كانت تظن أنها يمكن أن تربح أكثر من أى بنك أو مؤسسة ، صحيح كانت ذكية ، وارادت استثمار أموالك لتصنع بها ثروة طائلة ، ولم يكن وارين يدرى شيئاً »

« ماذا تريد أن تقول ، هل خسرت أموالى ، حسنا ، ليس حقيقياً ، مازلت أمتلك مؤسستها التى كونتها بأموالى »

« لن تحصلى على مؤسستها ، لن تحصلى على شىء ، ضاعت الشركة مالم تجىء معى »

« ماذا تقول ؟ كيف عرفت هذا ؟ لا تجيب ، تعرف لأنها مسألة مال ، أتركنى وحدى ، لا أريد أن أتزوجك »

« أنت بخير يا شيفى ، لا أريد أن أتزوجك لم أرد أبداً ، لم أكن أريدك أنت ، لأننى تزوجت فاون يا شيفى ، تزوجت أمك فى مكسيكو ، الربيع الماضى »

شعرت وكأنها تلقت ضربة فوق رأسها ، كتمت صدرها وحلقها ، حطمت القلب فى الضلوع ، شعرت بالغثيان ، بالأرض تدور حولها ، قدميها تهتزان ، لا ، لا أطيق سماعه يقول ذلك .

سألته « ماذا ؟ »

« عندما كنت أصور فيلم فيديو وكنت تصورين عروض المجوهرات ، صحيح ، كنا مخمورين بعد إسبوعين ونصف وقعت لها الأزمة القلبية »

قال لها إجلسى عندما وجدها شحب لونها « تريدين الصراحة ، وهو كذلك ، قلتها لك ، انظر يا شيفى ، لا نريد إيذاء أى شخص ، خصوصا أنت ، قلت لك مرارا ، حددنا شيئاً »

www.liilas.com

حدقت فيه «كنت على علاقة حب بأمي طيلة الوقت.؟ ومرتبط بخطبتي، وتحب أمي؟»

«كنا، أنا وهي من نفس النوع، هي من مدينة المناجم وحفرة الفئران، أنا من شوارع يتسبرج، نعرف معنى الفقر، الطموح تفاهمنا.. لم تكن أكبر مني كثيراً، كانت في الأربعين، وأنا في الواحدة والثلاثين إن كنت تريدين الحقيقة..»

بدأت تضحك بنعومة، لم تعرف هذا من قبل، كانت تعرف أنه في الرابعة والعشرين

«لا تضحكي، ليس كما تظنين، كنا رفاق بالروح أنا وهي، دائما أفضل السيدات الكبار، دائما، العمر لا يهم، كانت هي مهتمة بعملك بعملي بالمال»

ضحكت «طبعا!، المال، دائما المال..»

«إصمتي، اسمعي، لم تعرفين معنى الفقر، أنا عشته، كذلك أمك، تأكدت أنك تمتلكين كل شيء، كل شيء، لكننا كنا نريد التيقن من إمتلاك أفضل شيء، وبدأنا الشركة، ساجي: شيفيلد وجونز، كنا نعرف أننا سنجلب الملايين، كنا نعرف»

والدموع تملأ عيونها «فعلتم عملا أحمقاً؟» شيئاً غير قانونيا، والآن ظبتم متلبسين به؟»

«اسمعي، تفسدين الأمور، معظم ما أملكه مستثمر في ساجي، وكل ما تملكينه أيضاً، لذا فليس موضوع ضحك، وكان غير قانونيا، نحن شركاء، وارين وكيل عنا، كنا نستخدم أموال ضمانك، وارين يعرف،...»

حدقت فيه ثانية، ومسحت دموعها «إدخل مباشرة في

القصة يا سوليفان، ماذا جرى؟»

«كل أموالنا في ساجي؛ لكن في الواقع ليس هناك شركة اسمها ساجي، هي شركة خيالية، تستخدمها كمواجهة، كل رصيدها يذهب إلى شركتي «سوكلو» في استديو التسجيلات، وانتاج الاسطوانات، اشعر بحر شديد يا شيفي، حر شديد، كل أموالك تستثمر في شركتي، كل أموال فاون، بعض أموال وارن، وبعض الشركاء الذين لا يعرفون ما هي ساجي، فقط يحاولون الحصول على أرباح، كنا سنصبح أثرياء جداً، لكنها توفيت»

قالت بمرارة «وعندئذ ماتت، والآن، قلت لي أنها كذبت علي، أنت كذبت علي؟ وارين كذب علي؟ كل ذلك لأجل شركة غبية؟»

«ليست غبية، بل ذكية، ألا تفهمين هذا؟ يجب أن نتزوج، مجرد زواج قدري، ظاهري لا يؤذي أيا منا، لكن إفشاء حقيقة هذا الزواج ستدمر عملي «الأسوأ، شركتي دمرت، وكلنا جميعاً،..» وارين، كنت أنا وأمك فاون نتكتم ونحتاط لعملنا في المكسيكو، كان هناك صحفي مكسيكي يجري خلف قصتنا وأصبح وثيقاً وقريباً جداً منها، شيء يقوده لآخر، اكتشف أولاً علاقتي بفاون، ثم اشتراكنا في العمل والتجارة.. بدأت الهمسات والشائعات، هناك طريقة واحدة لوقفها، أن نتزوج»

«نتزوج؟ ماذا يفيد في هذه المأساة؟»

«لقد ساءت الأمور، لو تزوجنا ستتوقف الشائعات عن فاون وعني، ويصبح أمامنا وقت لتسوية الأمر كله، الذي ساء جداً وبدأت مجلة «صن وورلد» تتشمم رائحة شيء ما، إن لم

www.liilas.com

تتعاونى سيدمر كل شىء، ويلطخ اسمى فى الوحل كذلك وارين، وأنت أيضاً، كل ما أمامنا هو الزواج، يا شيفى، لنوقف الشائعات نجمع ثروتنا ونذهب إلى سويسرا، جنوب أمريكا».

«أتزوجك لأغطى حقيقة؟ هل أنت مخبول»

«نتزوج حتى تنتهى الشائعات، وتستعيد مصداقيتنا الإعلامية والدعائية، ويمضى عملى وعملك»

وقفت «أنت لست إنساناً» إتجه إليها وضع يده على كتفيها، ارتعدت وقالت: «أنت وأمى، أمى أنا..»

«ألم يكن من حقها أن تسعد نفسها يا شيفى؟ كنت أسعدها؟ لم تفعل ذلك لإيلامك، أو لنجرحك، كنا نرعاك، دائما»

«كانت تحبك، شركة ساجى كانت لك، أنت كنت تتظاهر بحبها ولم تزورها أثناء مرضها»

«لم أستطع رؤيتها فى تلك الحالة يا شيفى، أيضاً، كنت أريد نشر مزيد من الشائعات»

«شيفى فكرى فى وارين، أسرته، فرقتى الموسيقية، سكرتيرتى وضعت أموالها كلها وهى لا تدرى عن الشركة شيئاً، ليس الأمر شخصياً، بل يهم كثيرين»

«لا استطيع أن أعود، لدى كلاب هنا أهتم بها»

«فعلا ساذجة، من يهتم بتلك الكلاب اللعينة؟ لدينا ملايين الدولارات على كف عفريت السمعة، الشهرة، حياة الناس!! أحدثك عن عالم واقعى»

هيا يا شيفى، لنتزوج الليلة، ونحل تلك المشكلة، لا تريدين رؤية وارين فى الزنزانة؟ لا تريدين أن يخسر الناس

مدخراتهم؟ لا تريدين أن يسىء العالم فهم أمك؟ لقد كدحت تستحق أن تستريح فى قبرها»

فكرت فى ريب، يأتى من الجانب لينقذها، لكن لا أحد جاء، كان هناك سوليفان فقط.

«يجب أن أعمل شيئاً للكلاب»«

«جميل» وهو يبتسم سعيدا وقال «شيفى لا تقلقى، سأهتم بك»

مدونات ليلاس الثقافية
قمر الليل

الفصل العاشر

النجاة بالحب

وهى ترتدى ملابسها مستعدة للعودة معه تساءلت بعدم ارتياح: أى عالم هو الحقيقى؟ عالم سوليفان؛ أجابها صوت ساخر من أعماقها هى تشعر بواقعية سوليفان تخيم عليها كخيمة سوداء، بدأت تسترجع أجواء مانهاتن، نزولا على رغبة سوليفان غطت وجهها بالماكياج، كما كانت دائما، والرموش الصناعية، ارتدت الفستان الوحيد الذى اشترته، بسيط لونه أبيض، كانت ترتديه فى أركاريا مع ريب.

نظرت لصورتها فى المرآة، استغربت نفسها عادة الصورة التى اخترعتها فاون لتتقمص جسد دارين مرة أخرى، كان يجب أن تعرف أن لامهرب، فكرت فى ريب، وذاكراه تتخللها كلها، بالرغبة والشوق والحنين.

كانت تريده أن يجىء لينقذها، يساعدها كما كان يفعل من قبل، لكنها تعلم أنه لن يفعل لقد قال لها إعتمدى على نفسك، أليس هذا ماتريدينه؟؟

صاح سوليفان «اسرعى»

خرجت من غرفة النوم لتجده واقفا، شخصا واقعيا أمامها

سألها «أتاخذين هذا الكلب أينما ذهبت، لن أضعه فى سيارتى، سأزكم»

«سأخذه» كتبت ورقة لريب:

اضطررت للابتعاد، سأتزوج سوليفان فى النهاية رغم كل شىء، أرجوك إهتم بلبمبو وألا يحدث شىء للكلاب فى المخزن، سأرسل لك شيكاً على مجهودك، شكراً على كل شىء.

دارين

لغبائها، المفكرة لاتقول شيئاً كان يجب أن تشكره على أروع أوقات حياتها ستبقى ذاكرها معها بقية عمرها، ركبت سيارتها وذهبت إلى منزله، لم تراه من قبل منزل كبير، جميل، من الحجر الطبيعى، أعلى الجبل، الفناء ملىء بأشجار الماخيوليا.

ستترك الورقة والكلب مع تيسى، مؤكد هو فى الحقل الآن، طرقت الباب ولم يرد أحد تلفتت حولها، المنظر هنا أجمل من عندها، كان اليوم حارا، السماء صافية داكنة الزرقة ربطت سلسلة الكلب بالشرفة وألصقت الرسالة، سمعت لبمبو ينبح محتجا، قال لها صوتا داخليا، لاتنظرى خلفك، لاتسمعى، لاتنظرى، أدخلى فى عالم أحلامك حيثما إعتدت من قبل، عضت شفتها، ركبت سيارتها، وقالت لسوليفان «سأتوقف فى آركاديا، لأترك مفاتيحى عند السمسار»

«أرسليها بالبريد»

«أريد أن أتوقف، لأكمل دوران الدائرة يوم تسلمت المفاتيح، يوم أعيدها»

نظر إليها بغباء «ماذا حدث ياشيفى وقعت فى حب ولد من الريف هنا، ولد على جرار؟ هذا يلائمك، حسنا، جئت

www.liilas.com

لأنقذك من نفسك »

« أريد أن أتوقف فى أركاديا »

« وهو كذلك ، اعتبريها هدية زفافك ولا تنتظرى شيئاً ، سألغى حفلة بسبب هذه الرحلة ، كم أنت مكلفة ، أتدرين كم عائدها ؟ »

قاد سوليفان السيارة الحمراء أمام مكتب ماكفى « إنهى الأمر بسرعة ، لا أريد الجلوس هنا فى الحر »

نظر ماكفى إليها ، اتسعت عيناه فى دهشة ابهر بمكياجها ، « حسنا ، حسنا ، فتاة الغلاف ، لا أحد يعجز عن معرفتك الآن »

« جئت لأترك مفاتيحى ، أنا راحلة »

هى راحلة ، عرفت أنها سترحل »

سمعت صوتاً آخر ، أعمتها الفاجأة فلم ترى السيدة بيللى تجلس فى الركن « آه ! »

قال ماكفى « ترحلين ؟ كنا فى طريقنا لرؤيتك كانت تريد أن تعرف ماذا أحدثته العاصفة بالمنزل ، إن إستدعى الأمر مطالبة شركة التأمين »

« أنا راحلة ، لا تقلق ، لا أطلب باقى الإيجار ، احتفظ به »

قال ماكفى « طبعا تحتفظ به ، أنت وقعت على عقد »

قالت السيدة بيللى « من ينظر إليك لا يمكنه أن يعرف وجهك الحقيقى بعد ذلك ، أما زال لك وجه حقيقى ؟ »

« لا ، ليس لى »

ردت بيللى « ها ها ، رأيته ، رأيته وأنتما تقفان بالسيارة ، ليس له وجه حقيقى أيضاً ، بل يملك أموالاً ، كثيرة ، مازلت أقول »

شعرت دارين بالبرودة تسرى فى أوصالها رغم حرارة الجو الشديد ، سلمت المفتاح لماكفى ، وقالت « تركت سيارتى وبعض الأشياء ، سأتصل بأحدهم ليتصرف فيا بعد »

قالت بيللى « دائماً تدور وتدور ، الدنيا تدور بالقوة والشائعات ، المال والحب ، تدور كالطاحونة »

قال ماكفى « سيدة بيللى من فضلك ... »

وقال لدارين « لا يهمك ، بعض مضايقاتها لا تهتم بها ، تعاملى معى أنا ، أنا أحمى مصالحها »

قالت بيللى « إهتمى بكلامى اسمعيه ، أتظننى يا أوليفر صماء ؟ لى حق أن أمتع نفسى كما أشاء ، وأريد أن أنظر لهذه الفتاة للحظة التى لم يعد لها وجه حقيقى »

قالت دارين « يجب أن أرحل »

تساءلت السيدة بيللى « أتساءل ماذا حدث هذه المرة ، نفس الشىء ، الأمور لا تتغير أبداً تعيد نفسها مراراً »

« حقيقياً يجب أن .. »

قالت بيللى « كنت أجمل منك كثيرا ، وأكثر منك شبابا ، كنت أعيش فوق الجبل ، كان ملك لعمى ، قضيت الصيف هنا ، كان يطول بى الصيف لأجعله يلتهم الشتاء كله ، تمنيت ذلك ، ألا ينتهى ، يا عزيزتى »

صاح ماكفى فى دارين « أخرجى ، أخرجى ، هى تنفعل بسببك لسر غامض ، إذهبى ساراجع المنزل وأرسل لك فاتورة بأى خسائر »

ضحكت بيللى « وها أنت جاء بك القدر ، وترحلين أيضاً ، من أجل رجل ثرى بلا عاطفة ، مقابل شاب جامح هل تظنى أن المال يضمن لك مستقبلاً ؟ سيضمن ، سيضمن ، أنظرى

www.liilas.com

لى، يا آنسة أنا مستقبلك، أنا ما تريدين أن تكونى »

صاح ماكفى « إهدئى من فضلك، لا أريد طلب الدكتور جلوسيت، أيتها السيدة الطيبة، تماسكى، هذا حدث من خمسين عاماً ! »

صاحت بيللى وهى تبكى « حدث أمس » مزقت العقد وتناثرت حياته على الأرض.

« حدث أمس ! تركت الجبل وهومايس دولونج أمس، وإنتهى الحب، ارتبطت بروبرت بيللى وكل أمواله، نادانى الجبل ومصنع الخمور، لكن كان الوقت متأخراً، فات الأوان !! »

بدأت تضحك المرأة بعصبية شديدة كان ماكفى قد بدأ يجمع حبات العقد رمق دارين بنظرة غاضبة « إذهبى، ألا ترين ما تسببتيه لها ؟ »

ضحكت بيللى « لم تفعل بى شيئاً، أنا فعلت كل هذا بنفسى ».

كرر ماكفى « إذهبى ».

وقالت بيللى لها « نعم، إذهبى، لكن لا تخدعى نفسك بأن دولونج سيفتقدك، لن يفتقدك ليس مثل باقى الناس، لا يعرفون الندم والحسرة، ولا واحد منهم »

قاد سوليفان السيارة بجنون، ثم ركبوا الطائرة إلى دالاس.

قضت دارينم اسبوعا فى شقة مانهاتن لاحقتها الصحف، نظرت لصورتها ولصورة سوليفان على غلاف « ورلدض »

تساءلت « ماذا فعلت ؟ هل فعلت الأمر الصحيح ؟ ماذا يجب أن أفعل ؟ انتابها إرهاق وملل وهى تقود سيارة مؤجرة فى المدينة الصغيرة الناعسة، كانت العلامات تقول آركاديا...

وقفت أمام مكتب العقارات لتأخذ مفتاحها، أخبرها ماكفى أن السيدة بيللى حدث لها إنهيار عصبى، ذهبت دارين لتراها فى المستشفى، ووجدتها مستريحة، إتجهت بسيارتها ناحية الجبل، كانت السماء قد تلونت بلون وردى والذهب المنصهر وقت الغروب، أوقفت السيارة، كانت ترتدى نفس ملابسها فى رحلتها الأولى عندما جاءت أول مرة، طرقت الباب الرئيسى لمنزل ريب، وقف عند الباب بقامته المديدة الرشيقة

« إذن، تعودين »

« نعم، عدت فترة قصيرة »

عند سماعة صوتها اسرع ليمبو ناحيتها، قال ريب « إدخلى » دخلوا غرفة المعيشة الواسعة بسجادتها الخضراء، ومدفأة مصنوعة من الحجر الصبيعى، « شكراً على رعايتك له » كيف حال باقى الكلاب »

« عظيم، هل ذهبت كل تلك الرحلة لتسألى عن الكلاب ؟ »

« لا، هل انتهيت من الحصاد ؟ »

« لا، لكننى أرسلت لك بطاقة تهنئة، أظنك ستقرأين بين السطور، تريد شرابا »

« لا »

« أظننى بحاجة لكأس، وكذلك أنت »

« أيجب أن أشرب »

« لك »

قالت : « لم يكن سهلاً على »

« لم افترض ذلك، ما مذاقه ؟ »

قالت « جيل على ما أظن، ياه يا ريب، تحدثى معى، قل

www.liilas.com

أى شيء ، لقد كان الأمر صعباً »

وضع كأسه ، تطلع من النافذة ليرى منظر الغروب

« أعرف ، لكننى فخور بك ما قمت به يحتاج شجاعة ، أنا سعيد بعودتك حتى ولو لفترة قصيرة »

« ذهبت معه إلى دالاس ، لكننى لم استطع مسايرته ، أظنها السيدة بيللى ، عندما رأيتها هكذا ... »

سألها مبتسماً « السيدة بيللى ، ما دخلها بك ؟ »

« آه ، يا ربب ، اسمع ، كان هناك طرفان يتنازعانى ، أريد البقاء هنا ، وكنت أخشى على كثيرين سأسبب لهم الأذى ، إن لم أعد ، لكننى لم استطع ، أعرف أنه خطأ بينما كان سوليفان فى الحمام ، إتصلت بالسلطات فى نيويورك ، قلت لهم كل شيء وركبت الطائرة إلى مانهاتن ، هناك من لن يغفر لى أبداً »

« حقاً ، هناك ، كيف تشعرين بذلك ؟ »

« ليس على ما يرام ، الشيء الوحيد هو أننى ازحت العبأ عن كاهلى ، بمعرفة أن وارين أبلغت السلطات قبلى ، ، لم يتحمل الضغط ، لكننى لم أكن أعرف ذلك »

سألها « أخيراً واجهت العصابة »

« نعم ، كنت سأطلب عونك »

« لم أكن لأجيب »

« لماذا ؟ »

« فى البداية ظننت أنك تزوجتنى ذلك الغنى المخنث ، لكن عندما نشرت الصحف القصة الحقيقية أدركت ما حدث ، أنك فى النهاية قررت بدون عون من أى مخلوق » ابتسم لها « أنا فخور بك ، يا دارين ، أنا فخور بك فعلت ما ينبغي أن يفعل ،

وحاولت أن أقدم لك هدية »

« هدية ؟ »

تناول كأسه « هديتى سماحى لك أن تفعلى ذلك بمفردك ، لم تكونى بحاجة لأحد كنت أخشى أن تكونى ضعيفة ، لكنك قوية منذ اللحظة الأولى كنت تهتمين بنفسك جدا ، تحاولين الاستقلال بذاتك »

« هل ترى أن المرور بتلك الخبرة بمفردك كان سهلاً ؟ »

هل تظنى أن تركى لك تتعرضين لذلك كان سهلاً على ، ؟ يا إلهى ، لم أنم الليالى أفكر فى مشاعرك نحوى ، لأوى مرة فى حياتى ، سكرت ، أنا الذى تربيت وسط براميل الخمر »

« لكن لماذا لم تتصل ؟ »

« قلت لك ، لأنك لم تطلبين عونى ، ولست فى حاجة لها ، أنت موهوبة ، تجعلين الناس يهتمون بك »

تفحص وجهها « يقولون »

لو أحببت شيئاً ، أطلق سراحه ، لو عاد ، فهو ملكك ، إن لم يرجع ، فلن يعود أبداً »

« أعرف يا عزيزتى أننى حاولت السيطرة عليك فقط لقلقى عليك ، لكن ما كنت أريده أن تعتمدى على نفسك »

« حسناً ، وقفت على قدمى الآن »

أضاف « وبمهارة فائقة »

« إذن لقد أطلقت سراحى وها قد عدت لك »

وضع كأسه ، نظر إليها « إذن فعلت »

« ريب دولونج ، أشعر بالبؤس والتعاسة بدونك ، فى غيابك »

قطع الغرفة فى خطوتين ، عانقها وقبلها قبلة قالت لها كل

www.liilas.com

مشاعره وأفشت عمق حبه لها.

قالت له: «هل تعرف أننى فقيرة الآن، لو عشت هنا، سيصبح لزاما عليك أن ترعانى»

«بكل سرور ياعزيزتى مدى الحياة»

«المحامى قال أنه سيجلب بعض المال..»

«توقفى عن الحديث فى المال؟ أريد أن أرى عيونك تلمع عندما تنظرين للجبل، أنت مخلوقة لتعيشى هنا، عودت أخيراً لموطنك، ولنعيش معاً فى زواج سعيد، يعوضنا عما فات من لحظات السعادة.

www.liilas.com

قمر الليل